العذراء حاملة طفلها الإله المتجسِّد

صورة حائطيَّة ملوَّنة من دير القدِّيس إرميا بسقَّارة (القرن السادس الميلادي) بالمتحف القبطي، وهي تمثِّل القديسة مريم العذراء وهي تُرضِع طفلها يسوع المسيح ابن الله الكلمة الذي تجسَّد من أجل خلاص جنس البشر.

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٩ يناير ٢٠٢٥م.

العدد ٦٦٠ كيهك / طوبة ١٧٤١ش.

المحتويات

تهنئة قداسة البابا بعيد الميلاد المجيد ١

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«اِفْرَحُوا كُلَّ حِينٍ» ٢

مقال للأب متى المسكين:

ميلاد المسيح حياتنا ٨

من أقوال الآباء: الظهور الإلهي ١٧

بمناسبة عيد الميلاد المجيد:

ميلاد حبيبنا الرب يسوع ٢٣

ميلاد المسيح ٢٧

بمناسبة أعياد الظهور الإلهي:

بين الميلاد والغطاس فرح الخليقة المحبوبة ٣١

ادخل إلى العمق (٤٨):

«وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ» ٣٥

من التراث الكنسي: معرفة الله (١٥) ٣٩

بحث تاريخي:

أديرة الملاك ميخائيل الأثريّة في مصر (١)..... ٤٤

تقديم كتاب: سياحة المسيحي..... ٤٨

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 45 - 47 ..... ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة

للقدّيس كليمندس الإسكندري

المعموديَّة استنارة وبنوَّة وكمال

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[عندما وُلِدْنا ثانيةً، للوقت نِلْنا الكمال،
هذا الذي كنَّا نسعَى من أجله،
لأنَّنا استنرنا، أي عَرَفْنا الله،
والذي عَرَفَ الكامل لا يكون ناقصًا...
فإنَّه حالما اعتمدَ الرَّبُّ،
دَوَّى صَوْتٌ من السَّماوات، شاهدًا للمحبوب:
"أنت ابْني الحبيب، أنا اليَوْمَ وَلَدتُكَ"...
هذا هو نفس ما يحدث معنا أيضًا،
نحن الَّذين صار الرَّبُّ مثالًا لنا.
فعندما نعتمد نستنير،
وعندما نستنير نصير أبناءً،
وعندما نصير أبناءً نصير كاملين،
وعندما نصير كاملين نصير خالدين، فإنّه يقول:
«أنا قلتُ إنَّكم آلهةٌ وبنو العَلِيِّ كُلُّكُمْ» (مز ٨١: ٦س).
وهذا الفعل يُدعَى بأسماءٍ كثيرة:
يُدعَى "نعمةً" و"استنارةً" و"كمالًا" و"حَمِيمًا".
فهو "حَمِيمٌ" لأنَّنا به نَتَطَهَّر من خطايانا،
و"نعمةٌ" لأنَّ به يُرفَع عنَّا قِصاصُ خطايانا،
و"استنارةٌ" لأنَّنا به نُعايِنُ ذاك النُّورَ المقدَّس الخلاصيَّ،
أي إنَّنا به نَشْخَصُ إلى اللَّاهوت]!
(المُرَبِّي ١، ٦، ٢٥-٢٦)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد
أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة ١٧ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٧٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
٢٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
١١٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
يُسدَّد عن طريق موقع الدير على الإنترنت
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

تهنئة بعيد الميلاد المجيد لعام ٢٠٢٥م

يتقدَّم مجمع رهبان دير القدِّيس أنبا مقار ببريَّة شيهيت

وأسرة تحرير مجلة مرقس

بخالص التهنئة إلى

صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا تواضروس الثاني

بمناسبة حلول عيد ميلاد مُخلِّصنا الصالح

وندعو إلهنا الصالح أن يُديم رئاسته للكنيسة

سنين عديدة وأزمنة سلاميَّة مديدة

كما نتقدَّم بالتهنئة إلى أصحاب النيافة آبائنا المطارنة والأساقفة الأجلَّاء

وجميع الإكليروس وشعب الكنيسة المقدَّسة

في بلادنا العزيزة وكلِّ بلاد المهجر

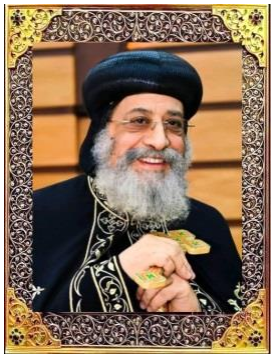

«افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ»

(١تس ٥: ١٦)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

✠✠✠

كلمة "إنجيل" معناها "بشارة مُفرحة" أو "فرح"، والعهد الجديد هو الكتاب الأكثر بهجة بين جميع الكُتُب. ولو تتبَّعنا آيات الفرح في العهد الجديد، نجدها تُمثِّل أربعة أضعاف آيات الحزن. فالصورة الرئيسية أو النغمة الرئيسية في الكتاب المقدَّس هي نغمة الفرح، والرجاء، والأمل، والسرور، والبهجة، والمسرَّة ... إلخ. وكلُّ هذه المعاني مُذَّخرة في هذه الوصية: «اِفْرَحُوا كُلَّ حِينٍ».

إنَّ أجمل رسالة كتبها القدِّيس بولس الرسول وتكلَّم فيها عن الفرح، هي رسالته إلى أهل فيلبِّي، حيث قال: «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا» (في ٤: ٤).

وما يدعو إلى العَجَب أنَّ القدِّيس بولس الرسول كَتَبَ هذه الرسالة وهو في السجن. وهُنا المُعادلة الصعبة للمسيحية، فبالرغم من السجن، والضيق، والتعب ...، إلَّا أنَّ روح الفرح هي الظاهرة الواضحة في حياة هذا القدِّيس، فكيف يفرح وقدماه مُقيَّدتان بالسلاسل؟

إنَّ فرح بولس الرسول لا يعتمد على الظروف الخارجية، بل فرحه في علاقته مع الرب.

الفرح الزائف:

الفرح الزائف ينحصر في أمور الأرض، فيه يسعى الإنسان للجسد وكل شهوة، مثل:

١. الفرح بزيادة وكثرة المال:

مثال: الغَني الغبي (لو ١٢: ١٨ – ٢٠).

٢. الفرح بقوَّة الجسد:

يوجد مَنْ يفرحون بقوَّة الجسد وبالقتال والحروب، فيقول داود النبي: «شَتِّتِ الشُّعُوبَ الَّذِينَ يُسَرُّونَ بِالْقِتَالِ» (مز ٦٨: ٣٠).

هؤلاء يفرحون إذا غَلبوا، وإذا ظَلموا، ومِن هؤلاء مَنْ يفرح بمصائب البشر وبضيقات الآخرين، فيرد عليهم داود قائلًا: «لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعًا الْفَرِحُونَ بِمُصِيبَتِي» (مز ٣٥: ٢٦).

٣. الفرح بإشباع الشهوات الجسديَّة:

يقول عنها سليمان: «بَنَيْتُ لِنَفْسِي بُيُوتًا، غَرَسْتُ لِنَفْسِي كُرُومًا. عَمِلْتُ لِنَفْسِي جَنَّاتٍ وَفَرَادِيسَ، وَغَرَسْتُ فِيهَا أَشْجَارًا مِنْ كُلِّ نَوْعِ ثَمَرٍ ... اتَّخَذْتُ لِنَفْسِي مُغَنِّينَ وَمُغَنِّيَاتٍ وَتَنَعُّمَاتِ بَنِي الْبَشَرِ، سَيِّدَةً وَسَيِّدَاتٍ ... وَمَهْمَا اشْتَهَتْهُ عَيْنَايَ لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُمَا. لَمْ أَمْنَعْ قَلْبِي مِنْ كُلِّ فَرَحٍ، لأَنَّ قَلْبِي فَرِحَ بِكُلِّ تَعَبِي. وَهذَا كَانَ نَصِيبِي مِنْ كُلِّ تَعَبِي. ثُمَّ الْتَفَتُّ أَنَا إِلَى كُلِّ أَعْمَالِي الَّتِي عَمِلَتْهَا يَدَايَ، وَإِلَى التَّعَبِ الَّذِي تَعِبْتُهُ فِي عَمَلِهِ، فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ، وَلَا مَنْفَعَةَ تَحْتَ الشَّمْسِ» (جا ٢: ٤ - ١١).

٤. الفرح بالبُعد عن الله:

مَثَل: الابن الضال (لو ١٥).

وكذلك الوجوديون:

يشعر الوجوديون أنَّ فرحهم هو في البُعد عن الله، لأنهم يشعرون أنه قيَّد عليهم: «فَيَقُولُونَ للهِ: "ابْعُدْ عَنَّا، وَبِمَعْرِفَةِ طُرُقِكَ لَا نُسَرُّ"» (أي ٢١: ١٤).

٥. الفرح بأباطيل العالَم:

هناك مَنْ يفرح بأباطيل العالم من إدمان الخمور والمخدرات والأغاني والأفلام غير النقيَّة، وهناك مَنْ يفرح بأمور الخلاعة، **حتى أنه ظهرت فلسفة جمعت كلَّ هذه الأباطيل** وقالت: «فَلْنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَدًا نَمُوتُ!» (١كو ١٥: ٣٢). هذه فلسفة بسيطة جدًّا، نأكل ونشرب لأننا سنموت غدًا، بمعنى أنَّ الإنسان لا ينظر إلَّا للَّحظة التي يعيشها؛ فلا ينظر إلى السماء، ولا إلى الأبديَّة، ولا إلى الدينونة، ولا إلى أيِّ شيء آخر من هذا القبيل.

كلُّ ما سبق من أمثلة تُمثِّل فرح الإنسان الذي لا يدوم. فالإنسان سيفرح، ولكنه فرح مؤقَّت ينتهي يومًا؛ أمَّا وصية الكتاب، فهي تتكلَّم عن الفرح الدائم الذي لا ينتهي: «اِفْرَحُوا كُلَّ حِينٍ».

الفرح الحقيقي:

هو ثمرة من ثمار الروح القدس في النفس، فهو فرحٌ دائم وثابت في القلب، لأن

مصدره الله كوعد الرب: «وَلكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضًا فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَلَا يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ» (يو ١٦: ٢٢).

إنَّ الفرح الحقيقي الذي من الربِّ هو مملوءٌ بالسلام والهدوء وراحة البال، هو فرحٌ لا يتأثَّر بالظروف أو بأيَّة متاعب.

إنَّ الروح القدس هو المصدر الوحيد للفرح الحقيقي، والعزاء الدائم لكلِّ مؤمن. إنَّ الإنسان الروحي فرحه ليس فقط بسبب صحةٍ جيِّدة، ولا بسبب خلاصٍ من مرض أو ضيقة أو هدوء الأحوال، أو بسبب نجاحٍ أرضي؛ وإنما أفراحه بسبب أمورٍ عالية وسامية.

هناك أربعة أنواع أساسيَّة لهذا الفرح الدائم:

(١) فرح الخلاص:

إنَّ فرح الإنسان المسيحي هو فرحه بالخلاص، الخلاص الذي جعل الصليب والفداء في حياتنا. فالإنسان بحسب تاريخ البشريَّة، وبحسب العقاب الذي أخذه آدم وحواء من الله، وبحسب تركهما للفردوس الذي كانا به إذ إنهما كسرا وصية الله؛ بسبب ذلك عاش الإنسان باحثًا ومُحتاجًا لمَنْ يمسح له هذه الخطية التي ورثها من أبويه الأوَّلين آدم وحواء، حتى جاء السيِّد المسيح في ملء الزمان، وفي الوقت المُعيَّن وقدَّم لنا الفداء، وقال على الصليب: «قَدْ أُكْمِلَ» (يو ١٩: ٣٠)، وتمَّت قصة الله مع الإنسان التي بدأت في جنة عَدْن، وانتهت على الصليب، وهذا هو **فرح الخلاص:** «الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلَالِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ. أَكْثَرْتَ الأُمَّةَ. عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ» (إش ٩: ٢ – ٣)، وهذا هو الفرح الأساسي للإنسان.

(٢) فرح التوبة:

هو الفرح الثاني الذي يحافظ به الإنسان على نعمة الخلاص، فالصليب يُشبه اليدين الممدودتين، وكأنَّ السيِّد المسيح يمدُّ يده لنا لنصنع فرح التوبة: «عَلَى غَضَبِ أَعْدَائِي تَمُدُّ يَدكَ، وَتُخَلِّصُنِي يَمِينُكَ» (مز ١٣٨: ٧). فالمسيح يمدُّ يده دائمًا لكي ما ينتشل الإنسان من الخطية.

فرح التوبة الحقيقيَّة، هو الذي تكلَّم عنه الكتاب قائلًا: «هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (لو ١٥: ٧). فالإنسان

قد لا يشعر بتوبة غيره من البشر، لكن السماء تفرح بتوبة الخاطئ، وتهتزُّ لهذه التوبة أعتاب السماء. فإن كانت الخطية عبوديَّة، فالحرية فرحٌ، والحرية عيد.

(٣) فرح الخدمة:

النوع الثالث من الفرح نُسمِّيه: **"فرح الخدمة"**، أو **"فرح الانفتاح على الآخر"**، أو **"فرح التَّخلِّي عن الأنانية"**. إنَّ الخدمة على كافة مستوياتها ودرجاتها تتطلَّب تعبًا وسهرًا، إلَّا أنه يوجد العزاء الذي يفيض به الروح القدس في قلوب خُدَّامه.

فليس بالضرورة أن يكون الخادم مُستريحًا ليفرح، بل نجده في عمق الفرح وهو يذرف الدموع. مثلما قال بولس الرسول: «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» (٢كو ٦: ١٠). وهو ممتلئ بالفرح وهو في وسط التجارب والضعفات. العالَم يرى الخُدَّام ويظنُّ أنهم حزانى ويصفهم بالكآبة؛ أمَّا داخلهم، الذي لا يراه العالَم، فهو الفرح الدائم.

وهكذا التلاميذ عندما تعرَّضوا لمتاعب كثيرة، وذلك في بداية نشأة الكنيسة الأُولى، يقول عنهم الكتاب: «وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامَ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (أع ٥: ٤١). ومُعلِّمنا بولس الرسول له عبارة رائعة جدًّا يُعبِّر بها عن آلام كلِّ كاهن أو خادم، فيقول: «الآنَ أَفْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ» (كو ١: ٢٤)، بمعنى أنَّ هذه الآلام والضيقات لا تنزع الفرح من الخادم أو الأب الكاهن.

(٤) فرح التسبيح:

التسبيح هو لغة السماء، التسبيح لله هو سبب السرور والفرح: «أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ» (يع ٥: ١٣).

ففرح التسبيح، هو الجوُّ المُفرح الذي شرحه لنا هذا المزمور: «هَلِّلُويَا. غَنُّوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَتَهُ فِي جَمَاعَةِ الأَتْقِيَاءِ ... لِيُسَبِّحُوا اسْمَهُ بِرَقْصٍ. بِدُفٍّ وَعُودٍ لِيُرَنِّمُوا لَهُ» (مز ١٤٩: ١ – ٣).

يقول المزمور: «سبِّحوا الله في جميع قدِّيسيه»، ثم يبدأ يتكلَّم عن الآلات الموسيقية في كنيستنا الجميلة التي تشترك في هذا التسبيح مع الآلة الطبيعية التي أعطاها لنا الله، وهي الحنجرة والشفتان. وهُنا نجد طاقة فرح وطاقة حُب، وكأنَّ مَنْ يقف يُسبِّح تكبر وتمتدُّ قامته الروحية حتى تصل إلى عنان السماء.

أسباب فقدان الفرح:

توجد ثلاثة أسباب رئيسيَّة من الناحية الروحية التي تُفقِدنا حياة الفرح، وهي:

١ – الخطية:

إنَّ أول سبب يجعل الإنسان دائمًا فاقدًا لحياة الفرح في حياته هو وجود الخطية، وقد تكون هذه الخطية خطية واحدة أو عدَّة خطايا في صُوَرٍ مختلفة، مثل: خطايا الفكر أو القول أو الفعل ... إلخ.

لذا ابحث في حياتك وذاكرتك القديمة، وإنْ وجدتَ خطية اطردها واعترف بها أمام ضميرك، وأمام مسيحك، وأمام أب اعترافك، وتعهَّد أمام الله بطرد هذه الخطية من داخلك إن كانت قولًا أو فعلًا أو ... إلخ.

٢ – غياب روح الرِّضا و(حالة التذمُّر):

إنَّ الطموح المادي وما يترتَّب عليه من صراعاتٍ سواء بين أشخاصٍ أو دول، وتفضيل النفس على الغير؛ يقود لمشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية.

هذا النوع من الطموح يجعل الإنسان دائمًا في حالة تذمُّر وعدم رضا عن كلِّ شيء، ووجود حالة التذمُّر في قلب الإنسان يُفقِده فرحه ويجعله لا يرى النقاط الحلوة والمُضيئة في حياته.

٣ – الابتعاد عن مصادر الفرح:

من أسباب فقدان روح الفرح أيضًا، البُعد عن المصادر التي تجلب للإنسان الفرح، مثل: البُعد عن أسرار الكنيسة، أو البُعد عن قراءة الكتاب المقدَّس، أو البُعد عن وسائط النعمة المُعزِّية للنفس.

الإنسان الروحي في أحزانه يلجأ إلى الكنيسة وللصلاة طلبًا للعزاء؛ أمَّا الإنسان الجسداني في أحزانه قد يلجأ للإدمان والخمور والتدخين، ويظنُّ أنه معها سيجد عزاءه وفرحه.

فالشخص الذي لا يقرأ الكتاب المقدَّس، كيف يمكنه أن يفرح؟ وهكذا الإنسان البعيد عن الصلاة، والاعتراف، وكل المُمارسات الروحية، مثل: الأصوام، وفترات الخلوة، والألحان والتسابيح، كيف يستطيع أن يفرح؟

أخيرًا، يا صديقي، لكي تقتني الفرح:

١. تواجَد مع الله دائمًا.

٢. اعمل أعمال الخير.

٣. اسلك طريق الفضيلة.

٤. تواجَد مع صُحبة مُفرحة.

أنت، كإنسانٍ مسيحي، تحتاج أن تكون دائمًا إنسانًا مُفرحًا، فالعالَم جائعٌ لهذا الفرح. ومن المعروف أنَّ الفرح هو من أول ثمار الروح القدس بعد المحبة: «وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلَاحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ» (غل ٥: ٢٢ – ٢٣).

فالمحبة هي الأرضيَّة، ثم يأتي منها الفرح والإيمان والسلام ... إلخ. فالفرح يُعَدُّ من الثمار الأُولى لعمل الروح القدس فينا، فليُعطِنا مسيحنا أن تكون حياتنا في هذا الفرح الدائم، ولنقتني هذه اللؤلؤة الثمينة **"الفرح": «اِفْرَحُوا كُلَّ حِينٍ»**.

البابا تواضروس الثاني

****

وير القدّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: أبناء المُتنيِّح أنبا إبيفانيوس**

الترجمة السبعينيَّة للكتاب المقدَّس

سِفْر المزامير

ويحوي ١٥١ مزمورًا

(مع شرح للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

عن الطريقة التي ينبغي بها لنا أن نُصلِّي المزامير)

والكتاب ٢٤٨ صفحة (من القَطْع الصغير)

****

مقال للأب متى المسكين

ميلاد المسيح حياتنا[1]

❖❖❖

مقدِّمة:

نحن اليوم نُعيِّد للميلاد، ولكن عيدنا، يا أحبَّائي، ليس ذكرى ولا تذكارًا. نحن اجتمعنا اليوم بصلاةٍ وقدَّاس لنتقابل مع الربِّ يسوع المسيح شخصيًّا في بيت لحم. نحن معه على ميعاد، فميلاد الرب حدثٌ كبيرٌ حيٌّ قائمٌ في حياتنا، لا نقرأه من كتاب كقصة كتبها كاتب الإنجيل؛ بل نحن أمام حدثٍ سمائي، والملائكة شهودٌ لذلك!!

لقد استُعلِن الله في ذلك اليوم بما لا يحتمله التاريخ. الميلاد، يا أحبَّائي، هو التجسُّد، والتجسُّد معناه: **«اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ»** (١تي ٣: ١٦)، وظهور الله لا يسعه التاريخ ولا يحتويه. الإنجيل هنا، إذن، لا يقصُّ تاريخ ميلاد الربِّ يسوع، بل يُسجِّل حادثة سماويَّة وقعت في صميم التاريخ، فأنهت عليه بل أكملته، لأنه معروفٌ بيقين في كافة النبوَّات أنَّ ميلاد الربِّ هو إعلانُ ملءِ الزمان!!

لذلك قلتُ وأقول: إنَّ الميلاد تجسُّد، والتجسُّد هو الآن حياتنا، هو إيماننا، هو كل رجائنا الذي نعيشه، مُتجاوزين به كلَّ ضعف الإنسان، وكلَّ نقص الزمان، وكلَّ قصوره؛ بل وكلَّ همومه وأتعابه، وكأنها لا شيء. واليوم، وبالروح، نحن حضورٌ معًا في صميم هذا الحدث السماوي – يوم الميلاد – في ملء الزمن في بيت لحم، في استعلان التجسُّد.

لذلك أودُّ لو أُنبِّه ذهنكم أكثر، فإنَّ مكاننا في بيت لحم ليس مع الرعاة أو المجوس، كمجرَّد شهود ومقدِّمي هدايا؛ بل ولا كيوسف حارس الميلاد البتولي؛ بل وأجترئ، يا أحبَّائي، لأقول ولا كالعذراء القدِّيسة الأُم الوالدة. نحن، يا أحبَّائي، بالنسبة للمسيح المولود أكثر من كلِّ

(١) عظة ألقاها الأب متى المسكين على مجمع رهبان دير القدِّيس أنبا مقار في عيد الميلاد المجيد عام ١٩٧٤م، وقد نُشِرَت في كتاب: "أعياد الظهور الإلهي"، الطبعة الخامسة: ٢٠١٤، من ص ١٧٢ – ١٨١.

هؤلاء جميعًا، **نحن لحمه وعظامه!!** وأنا في ذلك لا أتجاوز ما قاله بولس الرسول بالحرف الواحد: «لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ» (أف ٥: ٣٠).

معنى عميق لعيد الميلاد:

الآن تُدركون معي عمق معنى عيدنا، وأهمية اجتماعنا، وخطورة موقفنا من بيت لحم والمذود والميلاد والمسيح الطفل.

إذن، لسنا بصدد ذِكْرى وتذكار وشرح حوادث لقصة ميلاد وتاريخ إنجيلي، بل نحن بصدد علاقة حيَّة بمسيح المذود، علاقة جدّ خطيرة!! علاقة وجود وكيان متبادَلين، **المسيح مولود فأنا موجود!!**

فميلاده في ذلك اليوم هو ميلادنا الأبدي، وحياته على الأرض صارت هي بدء حياتنا التي لن تنتهي، حياة الأبد.

بيت لحم هي مسقط رأسنا:

أمَّا بيت لحم، فلا أُبالغ إذا قلتُ إنها – بالحقيقة – **مسقط رأسنا، لأن المسيح هو بالفعل رأسنا،** رأس الكنيسة؛ بل رأس الخليقة الجديدة كلها، آدم الثاني. فإن كانت جنة عَدْن قديمًا هي مسقط رأس آدم أبينا الأول، فبيت لحم جديرة بأن تكون جنة عَدْن الجديدة.

يا أحبَّائي، أعود فأقول إننا إذا لم نأخذ ما يقصُّه علينا الإنجيل والتاريخ المقدَّس بهذا المأخذ الروحي الحي، فالإنجيل قد كُتِبَ عبثًا، والكنيسة تُعيِّد للتاريخ وليس لحياتنا أو لخلاصنا الأبدي. اذكروا ما كتبه الوحي الإلهي لتنبيهنا دائمًا أن: «الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي» (٢ كو ٣: ٦).

وهكذا نحن، بقيادة الروح القدس وإلهامه، ندخل في عمق الميلاد الإلهي لنكتشف حياتنا ووجودنا وكياننا في المسيح!

فنحن اليوم لا نُعيِّد لميلاد المسيح وحسب، بل نُصلِّي بالروح لنُجدِّد وجودنا في هذا الميلاد – بتوسُّل وتوبة وعبادة بالروح – وحينئذ يصير الميلاد عيدًا حقيقيًّا لنا تفرح له السماء. وبقدر ما يكشف لنا الروح من أعماق أسرار ميلاد المسيح، بقدر ما تزداد حياتنا وشهادتنا ارتباطًا بحياته مباشرةً.

نَسَب المسيح:

الإنجيل يُقدِّم لنا أنساب المسيح، فالقدِّيس متى يبدأه من **"داود وإبراهيم":** «كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ **ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ**» (مت ١: ١). والقدِّيس لوقا ينتهي بآدم والله: «بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ» (لو ٣: ٣٨).

فماذا لنا وماذا لحياتنا من هذه السلسلة المطوَّلة التي تبدو للقارئ وكأنها أمرٌ يختصُّ بيهوديَّة المسيح وبشريَّته؟

ابن داود:

الإنجيل يُنبِّهنا، على فم القدِّيس متى الرسول، أول ما يُنبِّهنا إلى أنَّ هذا الطفل المولود هو **«ابن داود»،** فهو الملك الممسوح أو المسيح الموعود: «أقسم الرب لداود حقًّا ولا يخلف أنَّ من ثمرة بطنك يجلس على كرسيِّك» (مز ١٣١: ١١ السبعينية). «والأُمم كلها أُعطيها ميراثًا لكَ، وسلطانك إلى أقصى الأرض» (مز ٢: ٨ السبعينية).

هنا أول لقب وأول وظيفة مُميَّزة للمسيَّا «ابن داود»، ثم بالتالي أول إشارة لربوبيته، لأنَّ **«ابن داود»** في المعنى النبوي الكبير هو **«المسيح»** وهو **«رب داود»،** وهذا ما ألمح إليه المسيح نفسه مُشيرًا إلى نفسه: «وَفِيمَا كَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا: "مَاذَا تَظُنُّونَ **فِي الْمَسِيحِ؟** ابْنُ مَنْ هُوَ؟" قَالُوا لَهُ: "ابْنُ دَاوُدَ". قَالَ لَهُمْ: "فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا قَائِلًا: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ؟ فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ **ابْنَهُ"؟** فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ» (مت ٢٢: ٤١ – ٤٦).

ومعروفٌ تمامًا أنَّ الاسم المُرادف للمسيح أي "الممسوح" في النبوَّات هو "ابن داود". وهذا ما كان شائعًا لدى الشعب عامةً: «حِينَئِذٍ أُحْضِرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ، حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ. فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: "أَلَعَلَّ هذَا هُوَ **ابْنُ دَاوُدَ"؟**» (مت ١٢: ٢٢ – ٢٣). كذلك لا ننسى هُتاف الأعمى: «**يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ** ارْحَمْنِي» (لو ١٨: ٣٨)، أو هُتاف كل الشعب له يوم دخوله الأخير أُورشليم: «أُوصَنَّا (خلِّصنا) **لِابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ** الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا (خلِّصنا) فِي الأَعَالِي!» (مت ٢١: ٩).

وقد خصَّص الوحي الإلهي مزمورًا بأكمله (مز ٧٢) لابن داود، باعتباره: "ابن الملك" الذي **سوف يسجد له كلُّ الملوك، وكلُّ الأُمم تتعبَّد له،** ويكون اسمه إلى الدهر قدَّام الشمس، إذ

يمتدُّ اسمه ويتباركون به، وكلُّ أُمم الأرض يُطوِّبونه. وهو المزمور الذي أحبَّته الكنيسة في تقليدها وتُسبِّح به دائمًا في موسم الميلاد.

وهكذا، يا أحبَّائي، فإنَّ تقديم الإنجيل لميلاد المسيح بصفته "الملكية" "ابن داود"، يفتتح أمامنا أول معنى، بل أول إحساس بـ **"ملكوت الله"** الذي تسلَّمه يسوع، ليشمل كلَّ الأُمم والشعوب: «مَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى الْمُنْتَهَى» (دا ٦: ٢٦).

بدء استعلان ملكوت الله ودخولنا فيه ودخوله فينا:

فنحن **بميلاد المسيح** "ابن داود" صرنا «**... رَعِيَّةٌ** مَعَ الْقِدِّيسِينَ» (أف ٢: ١٩) في ملكوت الله. وهكذا لقَّب سِفْر الرؤيا المسيح بـ «**مَلِكَ** الْقِدِّيسِينَ» (رؤ ١٥: ٣). فيوم الميلاد هو لنا بدء استعلان ملكوت الله ودخولنا فيه أو دخوله فينا، كما قال المسيح: «مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧: ٢١)؛ حيث ربوبيَّة المسيح كملكٍ أبدي على طقس ملكي صادق، يكشفها الإنجيل بقصة المجوس الذين عرفوا بالحكمة سرَّ ملوكيَّته، فجاءوا وسجدوا وقدَّموا له هدايا ملكيَّة.

لذلك يرتبط قول متى الرسول أنه **«ابن داود»** بقصة المجوس ارتباطًا سريًّا عجيبًا. وهذا يؤول في حياتنا بالضرورة إلى اكتشاف هذه العلاقة العالية التي تربطنا بمسيح المذود.

وهل حكمتنا، أيها الأحبَّاء، أقل من حكمة المجوس الذين رأوا في الطفل يسوع مَلِكًا حقيقيًّا، دفعهم ولاؤهم له أن يتجشَّموا رحلة الشهور في برد الشتاء، ويُقدِّموا هدايا الولاء والحبِّ والتكريم لشخصيته السريَّة السامية؟

ابن إبراهيم:

بميلاد المسيح، تدخل الأُمم في بركة إبراهيم، ثم في برِّ إيمانه، وتصير بالتالي نسلًا لإبراهيم.

هنا امتدادٌ "لأب الإيمان" ولبركة الوعد الأول لإبراهيم، حيث جاء **ختان المسيح** في اليوم الثامن ليوطِّد الصِّلة بين المولود، أي بيننا، وبين إبراهيم أبي الختان؛ وهكذا وُلِدَ المسيح حسب الوعد لكي لا ينحصر الإيمان وتنحصر البركة في نسل إبراهيم.

فميلاد المسيح إيذانٌ بامتداد البركة إلى كلِّ الأرض: "وفي **نسلك** تتبارك كلُّ أُمم الأرض" (تك ٢٦: ٤؛ راجع: تك ١٢: ٢). وهنا يهمُّنا أن نوضِّح أنَّ كلمة "نسل"، لا تفيد المواليد، بل تفيد **مولودًا واحدًا** مُعيَّنًا "في بذرة واحدة لك". وقد أوضح بولس الرسول هذا المعنى:

«وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: "وَفِي الأَنْسَالِ" كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: "وَفِي نَسْلِكَ ⲥⲡⲉⲣⲙⲁ" الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ» (غل ٣: ١٦).

ويتَّضح عمل المسيح المسكوني بمقتضى هذا الوعد أكثر في نهاية حياة المسيح على الأرض قبل الصليب مباشرة، كما جاءت النبوَّة على فم رئيس الكهنة نفسه: «وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، **بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ**» (يو ١١: ٥١ و٥٢). هنا أتصوَّر إبراهيم، في شخص المسيح، وكأنه يفتح ذراعيه ليجمع كلَّ شعوب الأرض إلى أحضانه!!

بميلاد المسيح تمَّت كلُّ المواعيد التي قيلت لإبراهيم من نحونا:

وهكذا حينما يقول الإنجيل في كتاب ميلاد يسوع المسيح: إنه "**ابن إبراهيم**"، **فهذا بمثابة إعلان بدء إتمام كلِّ المواعيد التي قيلت لإبراهيم من نحونا، ومن نحو كلِّ إنسانٍ على وجه الأرض.**

ويأتي بولس الرسول ليُبرهن على صِدْق تمام الوعد الإلهي في شخص يسوع المسيح بقوله: «وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ "فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ". إِذًا **الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ ...** لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. **فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ**، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ» (غل ٣: ٨ و٢٨ و٢٩). وهكذا بالإيمان والاتِّحاد بالمسيح، صرتُ أنا وأنتَ من نسل إبراهيم.

وهكذا يُنبِّه القدِّيسُ متى ذهنَنَا في أول آية من إنجيله، عند قوله: إنَّ المسيح هو **«ابن إبراهيم»**، إلى نوع الميراث الذي انفتح علينا في كلِّ بركة إبراهيم، وفي برِّ إيمانه، بواسطة ميلاد المسيح. فالمسيح الوريث الوحيد لإبراهيم الذي جاء حسب الوعد لينقل كلَّ بركة الله لإبراهيم وكلَّ بركة الآباء، إلى كلِّ إنسانٍ على وجه الأرض!

فبميلاد المسيح كملت فرحة إبراهيم لنا، إذ ورثنا الوعد والعهد والبركة والبر ورضى الله، ودخلنا في صميم خطة خلاص الله منذ البدء. وهكذا فلسنا وحدنا اليوم الذين نفرح بميلاد المسيح؛ بل يكشف لنا المسيح عن شريكٍ آخر لفرحنا بهذا اليوم، هو إبراهيم نفسه: «أَبُوكُمْ

إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (يو ٨: ٥٦).

رأى إبراهيم يوم ميلاد المسيح يوم تحقيق وَعْد الله. رآه فينا ولا يزال يراه في كلِّ مَنْ يؤمن إيمان إبراهيم ويقبل المسيح الذي يولد فينا كلَّ يوم؛ أو بالحري نولد فيه، فنمتدّ حتى نتصل بإبراهيم بالروح والجسد ونصير نسلًا له.

ابن آدم:

وهنا يُكمِل لنا لوقا الإنجيلي العلاقة التي تربطنا بالمسيح في الصميم، هنا يُذكِّرنا الإنجيل بالخطية الأُولى، وعضة الحيَّة المسمومة القاتلة، والوعد الأول لحواء بأنَّ نسلها يسحق رأس الحيَّة (انظر: تك ٣: ١٥).

إذن، فميلاد المسيح ابن آدم المُنتَظَر، جاء كإعلانٍ لانتهاء سلطان الحيَّة وسلطان الخطية!! هذا هو **بذرة آدم،** الفادي الذي سيسحق رأس الحيَّة، وينقُض أوجاع الموت، ويفكُّ أَسْرَى الهاوية.

بآدم دخل الموت إلى كلِّ إنسان، وبالمسيح سيحيا الجميع! لذلك فإنَّ تشديد لوقا الإنجيلي أنَّ نَسَب المسيح يمتدُّ ليكون **«ابن آدم»،** ذلك ليُذكِّرنا – في يوم ميلاد المسيح – بالموت الذي فينا الذي ورثناه، والمُزمع أن يحمله المسيح في جسده الآدمي (المُتَّحد بلاهوته) عنَّا ليحيا به كلُّ إنسان.

أمَّا آدم يوم خُلِقَ، فكان نفسًا حيَّة؛ أمَّا **«آدم»** الثاني، فيوم وُلِدَ صار روحًا مُحييًا: «الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ» (١كو ١٥: ٤٥ و٤٧)!!

كما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس صورة السماوي (المسيح):

وهكذا كما لبسنا بميلادنا من **آدم الإنسان الأول** صورة الترابي، هكذا بتجسُّد المسيح «ابن الإنسان» لبسنا في يوم ميلاده صورة السماوي. لأن في اللحظة التي انحدر فيها ابن الله من السماء وتجسَّد، أي لَبِسَ صورة آدم الترابي، لَبِسَ الإنسان بالتالي صورة السمائي في شخص يسوع المسيح ابن الله المُتجسِّد.

إذن اليوم، يا أحبَّائي، هو عيد كلِّ إنسان، عيد كلِّ ابن لآدم، لأن في هذا اليوم لَبِس الله بالفعل صورة الإنسان، فكرَّمها كرامةً أبديَّة. لأن صورة آدم التي أفسدها بالخطية وعرَّضها للموت؛ هذه الصورة لَبِسها المسيح اليوم، فأحياها وأعطاها كلَّ بهاء مجد الله وكرامته.

فاليوم عيد مجد البشريَّة وكرامتها واستعادة حياتها وبهاء صورتها في الله. وقد أُعطِيَ لنا أن نتحوَّل إلى صورة المسيح، كما يقول بولس الرسول: «وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كو ٣: ١٨). فمولود بيت لحم، هو بالحقِّ، صورة بشريتنا الجديدة في البرِّ وقداسة الحق التي ننمو إليها كلَّ يوم.

تقسيم الأنساب:

ولكن الذي يسترعي انتباهنا من سرد القدِّيس متى لأنساب المسيح، أنه يُقدِّمها في ثلاث أحقاب بحسب العصور، كل حقبة مُكوَّنة من أربعة عشر جيلًا. ونحن نعتقد أن هذا التقسيم له معنًى سرِّي يشرح لنا بعض الغوامض الأخرى.

فالمعروف أنَّ النبوَّات التي كانت تتعرَّض للزمن كانت تُقسِّم السنين إلى أسابيع، مثل نبوَّة دانيال، فكانت السنون تُحسَب بأسابيع سنين. هنا يلجأ القدِّيس متى الرسول إلى تقسيم الأجيال إلى أسابيع أجيال، حيث كل حقبة عبارة عن أسبوعَين من الأجيال، أي أربعة عشر جيلًا. فإذا جمعنا الأجيال في الأحقاب الثلاث نجدها ستة أجيال، **وهذه مُماثلة تطبيقيَّة بأسلوبٍ سرِّي، لعدد أيام أو أحقاب الخليقة،** حيث إننا نعرف أنها تمَّت في ستة أيام والسابع كان سبتًا للراحة.

وهكذا اعتَبَر متى الرسول أنَّ التاريخ البشري من إبراهيم إلى المسيح، وهو الزمن المدموغ بالوعد وبتدخُّل عمل الله المُباشر لتحقيق وعده، هو أيضًا ستة أجيال من إبراهيم حتى المسيح. وبعد المسيح، أو من المسيح فصاعدًا يبدأ **الجيل الأخير وهو جيل المسيح، جيل السبت الأبدي** الذي سيبقى بانتظار الدهر الآتي!

وهذا الأسلوب السرِّي في فهم الأجيال والأزمان الإلهيَّة، يشرح لنا بالتالي سرَّ قول الربِّ عن مواصفات الأيام الأخيرة وقُرْب مجيئه الثاني بقوله: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ» (مت ٢٤: ٣٤).

ابن الله:

هكذا يتدرَّج معنا إنجيل القدِّيس متى، ثم إنجيل القدِّيس لوقا، في إعطائنا صورةً كاملة للمسيح يوم ميلاده أو في كتاب ميلاده، فهو يُعلِن المسيح أولًا ك "ابن داود"، ثم "ابن

إبراهيم"، ثم "ابن آدم"، ثم "ابن الله".

أمَّا الكشف عن سرِّ بنوَّة المسيح لله الآب، فهذا يُعلنه بولس الرسول بكلماتٍ واضحة قاطعة في رسالته إلى العبرانيين هكذا: «اللهُ، بَعْدَمَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ» (عب ١: ١).

أمَّا إعلان المسيح أنه "ابن داود" و"ابن إبراهيم" و"ابن آدم"، فهذا كلُّه يكشف عن مدى قرابة المسيح إلينا، بل بالحري مدى قرابتنا نحن بالمسيح، كما سبق وقلتُ، فنحن لحمٌ من لحمه وعظمٌ من عظامه!!

أمَّا الإعلان عن أنه أيضًا **«ابن الله»**، فهذا في الحال يقلب معنى الميلاد من مفهوم الميلاد الطبيعي للإنسان الطبيعي، إلى معنًى فائق للطبيعة. **فهذا الذي هو ابن الله يتأنَّس.** هنا تنكشف بنوَّة أزليَّة للمسيح للآب سابقة للبنوَّة الزمانية الحادثة في التاريخ. هنا الميلاد من العذراء ومن الروح القدس، تنكشف أبعاده السابقة في الأزليَّة. فالميلاد البتولي الإعجازي، هو – في الحقيقة – مدخل لسرِّ الله الأعظم!!

إذن، فنحن في بيت لحم أمام حدثٍ إلهي في صورة حدثٍ زمني: **«اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ»** (١تي ٣: ١٦)، التحامٌ مُذهل بين ما هو أزلي، وما هو زمني. اتِّحادٌ فائق للعقل والوصف بين طبيعة الله غير المحدودة وغير المُدرَكة، وبين طبيعة الإنسان المحدودة والمُدرَكة. ونتيجة هذا الالتحام المُذهل، هو ميلاد ابن الله في صورة ابن الإنسان!

التجسُّد هو تقابُلٌ علني بين الله والإنسان في المسيح:

فالتجسُّد الذي تمَّ بميلاد المسيح، هو تقابُلٌ علني بين الله والإنسان في شخص المسيح.

أمَّا إيمان الكنيسة بأنَّ طبيعة المسيح المولود في بيت لحم هي طبيعة واحدة للكلمة – ابن الله – المُتجسِّد، فهو إيمانٌ يضعنا الآن، وفي هذا اليوم، أمام حقيقة ثابتة، **وهي أنَّ الله قد تواجَه معنا في شخص المسيح تواجُهًا كلِّيًّا وكاملًا.**

الله أنهى كلَّ نشازٍ في طبيعة الإنسان عندما وحَّدها بطبيعته الإلهيَّة في المسيح دون أن يلغيها. الصعوبة في هذه العقيدة، ليست راجعة إلى منطق لاهوتي؛ بل الصعوبة الحقيقيَّة فيها تعود إلى كونها دعوة حرجة للبشريَّة إلى التواجُه مع الله في شخص المسيح تواجُهًا كاملًا وكُلِّيًّا، بالرغم مِمَّا هي عليه من ضعفٍ وخطيةٍ ونجاسة. كيف ندخل دخولًا فعليًّا إلى دائرة

هذا الاتِّحاد الكامل الذي وحَّد بين الطبيعتين الإلهيَّة والبشريَّة في المسيح؟

الصعوبة والحرج والمشكلة العُظمى هنا، هي الإيمان من جهتنا، كيف نؤمن بأنَّ كلَّ عجزنا وكلَّ خطيتنا وكلَّ نجاساتنا، يستطيع أن يحملها المسيح في كيانه، فيُلاشيها في الحال؛ ولكن، أليس هذا بالتالي هو سرَّ التجسُّد، بل هدفه، بل عظمته الفائقة بكلِّ حبِّ الله المُتركِّز فيه تركيزًا يفوق كلَّ ما يتصوَّره الإنسان؟

فابن الله لم يدخل عالمنا لزيارة قصيرة أو طويلة لمواساة الإنسان أو تهذيبه ورَفْع معنوياته؛ بل إنه دخل دخولًا لا خروج منه. لقد تجسَّد ابن الله، أي لَبِسَ جسد الإنسان، ولن يخلعه عنه إلى الأبد. ولقد حَمَلَ بعد ذلك على الصليب وفي جسده هذا كلَّ ضعفات الإنسان وخطاياه بلا استثناء، ومات بها، ليرفع سلطانها عنَّا ويرفعنا فوق سلطانها. لقد حَمَل المسيح في جسده كلَّ "الإنسان" بأسره، بكلِّ ما له وما عليه، وصالحه مع الله أبيه.

إذن، نحن في الميلاد أمام مبادرة إلهيَّة مُذهلة في سخائها، مضمونها: إعلانٌ عن شركة تمَّت مع الإنسان بلا تحفُّظٍ تبدأ من الصفر، لا يعود بمقتضاها الطَّرَف الأضعف مسؤولًا عن ضعفه، ويتعهَّد فيها الطَّرَف الأقوى بخلاصٍ مجاني بلا شروط!!

هذا هو معنى التجسُّد وامتداده فينا، وهذه هي حقيقة الميلاد في بيت لحم!!

❖❖❖

كلمة في الختام:

وإن كانت حقيقة التجسُّد أو الميلاد ظلَّت مئات السنين بهذا القدر من الأهمية والفعالية، كما بشَّر الملاكُ الرعاةَ: «فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لو ٢: ١٠ و١١)؛ إلَّا أنَّ هذه الحقيقة الإيمانية، للأسف الشديد، بدأ يتقلَّص فعلها ونورها في العالم الآن، وذلك لازدياد الخطية وبرودة المحبة الأخويَّة الصادقة بين الناس. فبَدَت الحياة مع الله والقُرْب منه، عسيرة كل العُسْر بعد أن كان الاتِّحاد به – على مستوى المسيح – حقيقة مُفرحة.

لذلك لم يتبقَّ أمام العالم إلَّا بقية من تحقيق وَعْد الله بظهور المسيح مرَّة أخرى بجسده الإلهي الذي أنكره عليه إنسان القرن العشرين، حيث سيكون ظهوره بمجدٍ عظيم. وحينئذ ترتفع حقيقة تجسُّده من الإيمان إلى العيان، ويرى مجده كلُّ بشر. **(يناير ١٩٧٤)**

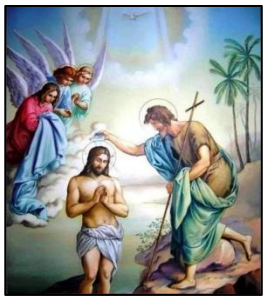

أقوال الآباء

الظهور الإلهي

للقدِّيس هيبوليتس

(١٧٠ - ٢٣٦م)

مقدِّمة:

يقول بعض المؤرِّخين إنَّ القدِّيس هيبوليتس هو أحد بطاركة رومية في القرن الثالث الميلادي. ومع ذلك، فهو أحد دعائم التقليد الرسولي، وبواسطته ترسَّخت أُسس عِلْم اللاهوت الإسكندري؛ إذ يرى بعض العلماء أنه تلميذ القدِّيس كليمندس الإسكندري، وصديق العلَّامة أوريجانوس المصري.

في هذه العظة نراه:

❖ يؤكِّد على ”برِّ الاتضاع“ الذي مارسه الربُّ يسوع بمجيئه إلى معمودية يوحنا. فرغم البساطة المُتناهية التي أَقْبَل بها إلى الأردن، ونزوله عاريًا إلى مياهه، وارتضائه بوَضْع يد القدِّيس يوحنا المعمدان على رأسه؛ إلَّا أنَّ عناصر الطبيعة لم تستطع أن تحتمل اقتراب اللاهوت منها، حتى كادت المياه تفرُّ مذعورة من أمامه. وقد استعمل المُتكلِّم أسلوبًا تصويريًّا رائعًا لوصف تحرُّكات عناصر الطبيعة مُستخدِمًا آيات سِفْر المزامير.

❖ وبعد شرح ما نالته البشريَّة من خيراتٍ فائقة للوصف، يتساءل: ”أَتَرَوْنَ، أيها الأحبَّاء، كم ستكون الخسارة فادحة لو أنَّ الربَّ خضع لكلام يوحنا المعمدان وتنحَّى عن المعمودية“؟!

❖ ثم يتطرَّق إلى إيضاح سرِّ تجسُّد الابن الوحيد بقوله: ”الذي يُدعى ابن يوسف، هو هو بحسب الجوهر الإلهي، "الابن الوحيد = μονογενής"“، وتطبيق ذلك بعبارات بسيطة مُقنعة.

❖ وإنَّ ما تمَّ للربِّ يسوع في الأردن، هو دعوة عامة لكلِّ إنسان ليولد ميلادًا ثانيًا من الماء والروح، فينال ”عدم الموت“. فلا عجب أن يكون بهذا ”إلهيًّا“[١]، وشريكًا للميراث مع المسيح.

---

(١) يحسن بالقارئ الرجوع إلى شرح هذا المُصطلح لدى القدِّيس أثناسيوس الرسولي في كتاب: ”القدِّيس أثناسيوس الرسولي“، للأب متى المسكين، الطبعة الثالثة: ٢٠٠٨، ص ٥١٠ - ٥١٤.

❖ ويختم الواعظ كلمته بشرح السلوك العملي والخُلُق الأدبي الذي تتطلَّبه معموديتنا، حتى يكون الإنسان بالنهاية "ابنًا لله ووارثًا مع المسيح".

✣ ✣ ✣

النَّصُّ[٢]:

إنَّ المسيح خالق الكل جاء مثل المطر (هو ٦: ٣)، عُرِفَ كينبوع (يو ٤: ١٤)، اندفق كنهرٍ (يو ٧: ٣٨)، واعتمد في الأردن. سمعتم وشيكًا كيف جاء إلى يوحنا واعتمد منه. يا للعجب الذي يفوق كلَّ قياس!... كيف أنَّ مجاري الأنهار غير المحدودة، والتي تُفرِّح مدينة العَليِّ (مز ٤٦: ٤)، قد غطست في القليل من الماء (إشارة إلى نهر الأردن وقلة مياهه)!... الحاضر في كلِّ مكان، ولا يخلو منه مكان، الذي لا تُدركه الملائكة، ولا ينظره البشر؛ يأتي إلى المعمودية بمسرَّته الصالحة.

عندما تسمعون هذه الأمور، أيها الأحبَّاء، لا تأخذوها حرفيًّا، بل اقبلوها بحسب التدبير. ولم يَغب عن عنصر المياه ما فعله ابن الله للإنسان سرًّا في محبة تواضعه، لأن «أَبْصَرَتْكَ الْمِيَاهُ فَفَزِعَت» (مز ٧٧: ١٦). ارتجَّت المياه في أماكنها، وتفجَّرت خارجًا عن تخومها. فالنبي نظرها بالرؤيا النبويَّة قبل كونها بأجيالٍ كثيرة، فتساءل: «مَا لَكَ أَيُّهَا الْبَحْرُ قَدْ هَرَبْتَ؟ وَمَا لَكَ أَيُّهَا الأُرْدُنُّ قَدْ رَجَعْتَ إِلَى خَلْفٍ» (مز ١١٤: ٥)؟ فأجابته: إننا ننظر خالق الكلِّ في "شكل عبد" (في ٢: ٧)، ولأننا نجهل أسرار التدبير، لذلك فزعنا خوفًا.

«لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ»:

أمَّا نحن، الذين نعرف التدبير، نسجد لرحمته، لأنه أتانا ليُخلِّصنا لا ليُدينا. لذلك فإنَّ يوحنا السابق للرب، والذي لم يكن يعرف السرَّ بعد، ما إن أدرك أنه الربُّ، حتى صاح قائلًا للآتين ليعتمدوا منه: «يَا أَوْلَادَ الأَفَاعِي»، لماذا تتفرَّسون فيَّ؟ **«لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ»** (يو ١: ٢٠)، أنا الخادم ولستُ السيِّد. أنا العبد ولستُ الملك. أنا خروفٌ من القطيع ولستُ الراعي. أنا إنسانٌ ولستُ الله. أنا من تحت ولستُ من فوق. أنا غير المستحق وأقل من القليل، لكن "سيأتي بعدي مَنْ هو قبلي" (يو ١: ٢٧). هو بعدي بحسب الزمن، ولكن قبلي بحسب ضياء لاهوته غير المُدرَك ولا المنطوق به. «هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ

(٢) العظة مُترجمة عن: ANF, Vol. II, p. 215.

الْقُدُسِ وَنَارٍ» (مت ٣: ١١). أنا تحت سلطان، أمَّا هو فصاحب السلطان. أنا مُقيَّدٌ بالخطايا، ولكنه غافر الخطايا. أنا أعيش بالناموس، أمَّا هو فسيُخرِج النعمة إلى النور. أنا أُعلِّم كإنسان، وهو يحكم كديَّان. أنا أُعمِّد بمعمودية التوبة، أمَّا هو فيمنح نعمة التبنِّي. فلماذا تُحملقون فيَّ؟ أنا لستُ المسيح!

«يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ»:

وبينما يوحنا يتكلَّم بهذه الأقوال، وجموع الشعب يترقَّبون في لهفةٍ أن يَرَوْا شيئًا مُذهلًا بعيونهم، والشيطان مصعوقٌ من شهادة يوحنا هذه؛ إذا بالربِّ يظهر بسيطًا عاريًا وحيدًا، عليه جسد البشريَّة كأنه لباسٌ يُخفي مجد الألوهيَّة حتى يفضح فخاخ التنِّين.

لم يأتِ الرب إلى يوحنا كملكٍ تخلَّى عن أُبهته، بل كإنسانٍ بسيطٍ مُحاط بالخطية (مع إنه «لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» ١بط ٢: ٢٢)، حانيًا رأسه تحت يد يوحنا ليُعمِّده. فلما رآه يوحنا في شدَّة تواضُعه ذُهِلَ من المُفاجأة وابتدأ يتمنَّع: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!؟» ... "عمِّدني بنار لاهوتك! لماذا تنتظر الماء؟ أَنِر عليَّ بروحك. لماذا تنتظر مخلوقًا؟ عمِّدني بالمعمودية التي تُظهِرك ... لنفترض أنني سأُعمِّدك، لكن الأُردن لن يحتمل اقترابك إليه. «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ»"؟!

فماذا أجاب السيِّد؟ "«اسْمَحِ الآنَ» يا يوحنا. أنت لستَ أحكَمَ مني. أنت تنظر كإنسان، وأنا أرتئي كإله. هل تتعجَّب، يا يوحنا، أنني لم آتِ في مجدي؟ رداء الملوك القرمزي لا يُناسب المواقف الخاصة. أنا مُكمِّل الناموس وأطلب ألَّا ينقص منه شيء حتى يمكن لبولس تلميذي أن يُعلِن بعدي: «لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ» (رو ١٠: ٤). عمِّدني، يا يوحنا، حتى لا يحتقر أحدٌ المعمودية. أنا أعتمد بواسطتك حتى لا يتأفَّف أحدٌ من الملوك أو الرؤساء حينما يُعمِّده كاهنٌ بسيط. اسمح لي أن أنزل إلى مياه الأردن حتى يسمعوا شهادة أبي فيعلموا قوَّة الابن".

«وَإِذَا السَّمَوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ»:

وأخيرًا، سمح يوحنا: «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ». أَتَرَوْنَ، إذن، أيها الأحبَّاء، كم ستكون الخسارة فادحة لو أنَّ الربَّ خضع لكلام يوحنا وتنحَّى عن المعمودية؟ لأن السماء كانت مُغلقة من قبل. المنطقة العُليا

بعيدة المنال. كان علينا أن نهبط إلى أسفل وألَّا نصعد إلى فوق.

لكن، هل فقط اعتمد الرب؟ لا، بل جدَّد الإنسان العتيق وأعاد إليه صولجان البنوَّة. فلأن السموات قد انفتحت له، فقد تمَّت المُصالحة بين المنظور وغير المنظور، وامتلأت الرُّتب السمائيَّة بالفرح، وتمَّ شفاء مرض الأرض، والأسرار استُعلِنَت، والذين في عداوة أُعيدوا إلى المحبة.

«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ»:

الحبيب يلد المحبة، والنور غير الهيولي يلد النور الذي لا يُدنى منه (١تي ٦: ١٦). «ابْنِي الْحَبِيبُ» الذي ظهر على الأرض لم يفترق من حضن الآب. وبحسب الظاهر، الذي يُعمِّد (يوحنا المعمدان) أعظم من الذي يعتمد (المسيح)، لأجل هذا أرسل الآبُ الروحَ القدس على ذاك الذي يتعمَّد. وكما كان في فُلك نوح أنَّ الله أَظْهَر محبته للإنسان في رمز الحمامة؛ هكذا أيضًا الروح، في نزوله بهيئة حمامة كما لو كانت حاملة غُصْن زيتون، استقرَّت على مَن له الشهادة. لأيِّ سبب؟ ذلك حتى يُعرَف صِدْق صوت الآب، ويتحقَّق النُّطق النبوي الذي قيل من زمنٍ بعيد.

وما هو هذا النُّطق؟ «صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ. إِلهُ الْمَجْدِ أَرْعَدَ. الرَّبُّ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ» (مز ٢٩: ٣ – وهو مزمور باكر قدَّاس عيد الغطاس).

وما هو صوت الرب هنا؟ «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ». فالذي يُدعَى ابن يوسف هو بحسب الجوهر الإلهي "الابن الوحيد": «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ». الذي يجوع مع إنه يقوت ربوات. المُتعَب الذي يُريح التَّعَابى. الذي «لَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» (لو ٩: ٥)، وهو حاملٌ كل الأشياء في يده. الذي يتألَّم مع إنه شافي الأوجاع. مضروبٌ كعبد، وهو واهب الحرية للعالم. مطعونٌ في جنبه، وهو الذي شفى جنب آدم[٣].

"يُعمِّد بالروح القدس ونار":

أعطوني آذانًا صاغية، أرجوكم، حتى أعود ثانيةً إلى ينبوع الحياة الذي يفيض شفاءً. أبو الخلود أرسل ابنه غير المائت وكلمته إلى العالم، لكي يغسل الإنسانَ بالماء والروح. هو الذي ولدنا ثانيةً لعدم الفساد نفسًا وجسدًا، ونفخ فينا أيضًا نَسَمَة الحياة، وكسانا برداء

(٣) إشارة إلى الخطية التي سبَّبتها حواء المأخوذة من جنب آدم.

البهاء غير الفاني. فإذ صار الإنسان غير مائتٍ، فبالتالي أيضًا يكون إلهًا (كما قال بطرس الرسول في رسالته الثانية: «لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا **شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ**» ٢بط ١: ٤) بواسطة الماء والروح بميلاده الثاني من الجرن. لذلك أيضًا هو شريك ميراثٍ مع المسيح (رو ٨: ١٧) بعد قيامته من بين الأموات.

من أجل هذا أُنادي: تعالوا إلى الخلود يا جميع أُبوَّات الأُمم بالمعمودية. أنا أُبشِّركم بالحياة يا مَن تتخبَّطون في ظلمة الجهل. تعالوا إلى الحرية من العبودية.

قد يقول سائل: كيف نأتي؟ ذلك بواسطة الماء والروح. هذا هو الماء مُقترنًا بالروح، الذي به يُسقَى الفردوس، وتغتني الأرض، وتنمو الأشجار، وتتكاثر الحيوانات. وبالإجمال، يولد الإنسان ثانيةً، ويرتدي حُلَّة الحياة التي تعمَّد بها يسوع ونزل عليها الروح القدس بهيئة حمامة.

هذا هو الروح القدس الذي كان من البدء «يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ» (تك ١: ٢)، والذي يتحرَّك به العالم، وتكوَّنت به الخلائق، والذي عَمِلَ بقوَّة في الأنبياء؛ نزل على المسيح بهيئة حمامة، وحلَّ على الرُّسُل بهيئة ألسنة نار (أع ٢: ٣).

هذا هو الروح الذي التمسه داود النبي قائلًا: «قلبًا نقيًّا اخلق فِيَّ يا الله، وروحًا مستقيمًا جدِّد في أحشائي». عن هذا الروح عينه تكلَّم جبرائيل الملاك مع العذراء: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ» (لو ١: ٣٥).

بهذا الروح نطق بطرس الرسول مقولته المباركة: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» (مت ١٦: ١٦). على هذا الروح تأسَّست صخرة الكنيسة (مت ١٦: ١٨). هذا هو الروح المُعزِّي الذي أُرسِل لأجلك (يو ١٥: ٢٦)، لكي يُعلِن لك أنك ابنٌ لله (انظر: رو ٨: ١٦).

قد يسأل أحدكم: كيف يُعلَن لي أنني ابنٌ لله؟ إن كنتَ قد ابتعدتَ عن الزنا، ولم تَعُد للقتل ثانيةً، ولا تسجد للأوثان. إن كنتَ قد تحرَّرتَ من عبودية الملذَّات، ولم يَعُد يُسيطر عليك طغيان الكبرياء. إن كنتَ قد اغتسلتَ من النجاسة، وطرحتَ عنك ثقل الخطية، وألقيتَ أسلحة الشيطان، ولَبِستَ درع الإيمان، كما يقول إشعياء النبي: «اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا ... اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ. هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ

تَصِيرُ كَالصُّوفِ» (إش ١: ١٦ – ١٩).

أَتَرَوْنَ، أيها الأحبَّاء، كيف أنَّ النبي سبق فتكلَّم عن مياه المعمودية المُطهِّرة؟ فالذي ينزل بإيمانٍ إلى جُرن الميلاد الثاني، ويجحد الشيطان، ويلتصق بالمسيح، ويُنكر العدو، ويقرُّ مُعترفًا أنَّ المسيح هو ابن الله، ويطرح قيود إبليس ويلبس التبنِّي؛ يخرج من المعمودية بهيًّا كالشمس، مُشرِقًا بأشعة البر. ثم، وأهم من كلِّ شيء، يعود ابنًا لله ووارثًا مع المسيح، الذي له المجد والقوَّة مع أبيه الصالح، وروحه القدوس المُحيي، الآن وكل أوان وإلى الأبد، آمين.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

كلمات روحيَّة للمبتدئين عن

عيدَي الميلاد والغطاس

وبقية أعياد الظهور الإلهي

[وهو عبارة عن كلمات روحيَّة أُلقيت على المُبتدئين بدير القدِّيس أنبا مقار. ويحتوي الكتاب على الكلمات التالية:

أولًا: مقدِّمات عيد الميلاد: عيد البشارة؛ صوم الميلاد موسم الفرح بسرِّ التجسُّد؛ تطلُّعات العهد القديم إلى مجيء الله إلينا؛ آحاد شهرَي هاتور وكيهك.

ثانيًا: عيد الميلاد: قصة الميلاد بحسب إنجيل القدِّيس لوقا؛ قصة الميلاد بحسب إنجيل القدِّيس متى؛ مفهوم الميلاد عند القدِّيس بولس الرسول؛ الغاية النهائية من التجسُّد؛ عمانوئيل شاكيناه العهد الجديد؛ العُلَّيقة والنار الإلهيَّة.

ثالثًا: عيد الغطاس: «وإذ كان يُصلِّي ...» – صلاة يسوع أثناء معموديته في الأردن؛ من أقوال الآباء عن قبول المسيح الروح القدس لأجلنا؛ من أقوال الآباء عن تغيير شكلنا بفعل الروح القدس.

رابعًا: ثلاثة أعياد سيِّديَّة صغيرة: عيد الختان؛ عيد تقديم المسيح إلى الهيكل؛ عيد عُرس قانا الجليل].

والكتاب ٣٦٠ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

بمناسبة
عيد الميلاد المجيد

ميلاد حبيبنا الرب يسوع

للقدِّيس سيزاريوس الذي من آرل[1]

استعلان الرحمة الإلهيَّة لنا:

❖ بواسطة الرحمة الإلهيَّة، أيها الأحبَّاء، فإنَّ اليوم الذي نتطلَّع فيه إلى الاحتفال بفرحٍ لولادة ربِّنا ومُخلِّصنا قد اقترب. لذلك أنا أُصلِّي وأنصح أن نتعب – بمعونة الله وبقدر إمكاننا – حتى يمكننا أن نتقرَّب في ذلك اليوم إلى مذبح الربِّ بضميرٍ صافٍ، وباستقامةٍ وبقلبٍ نقي، وجسدٍ عفيفٍ؛ فنستحقَّ أن نتناول جسده ودمه الأقدسين، ليس لدينونتنا بل كترياقٍ لنفوسنا. حقًّا إنَّ حياتنا تعتمد على جسد المسيح ودمه، كما قال الرب: «إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ» (يو ٦: ٥٣).

لذلك ينبغي أن يُغيِّر الإنسان حياته إذا أراد أن ينال الحياة، وإلَّا فإنَّه يتناول لإدانته؛ فتفسد حياته بدلًا من شفائها، ويُقتَل بدلًا من أن يُعطَى حياة. لأن الرسول بولس يقول: «الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ» (١كو ١١: ٢٩). ورغم أنه يليق بنا أن نتزيَّن ونتميَّز بأعمالٍ صالحة في كلِّ الأوقات، ففي يوم ميلاد الرب – بصفةٍ خاصة – ينبغي أن نُضيء بأعمالنا الصالحة قدَّام الناس، كما قال الرب، لكي يروها فيُمجِّدوا أبانا السماوي (انظر: مت ٥: ١٦).

الاستعداد للاحتفال بذكرى ميلاد الرب:

تفكَّروا، يا إخوة، في إنسانٍ يرغب أن يحتفل بذكرى ميلاده أو ميلاد ابنه، فبأيِّ جهدٍ يُفتِّش عن أيِّ شيء لا يرغب فيه في بيته ليتخلَّص منه في عدَّة أيام قبل ذلك. فيُنظِّف بيته منه ويُلقي به خارجًا؛ أمَّا ما هو نافع وضروري فيُبقيه. ويُزيِّن بيته بأنواعٍ مختلفة من الزهور، ويُزوِّد البيت بكلِّ ما يُبهج ويُسرّ الجسد بكلِّ عناية. والغرض من كلِّ تلك الاستعدادات، يا أعزَّائي، هو الاحتفال بفرحٍ بذكرى ميلاد إنسانٍ سيموت يومًا ما. فكم يكون بالحري نوع الاستعدادات للاحتفال بميلاد الربِّ إلهنا الأزلي والذي لا يموت؟ إذن، فاتعب بقدر إمكانك

(1) The Fathers of the Church, Vol. 66, Sermon 187, p. 7.

حتى لا يجد الرب في روحك ما هو غير صالح!

وإذا دعاك ملكٌ أرضي إلى وليمة تذكار ميلاده، فبأيِّ نوعٍ من الثياب النفيسة ترتدي، حتى لا تُضايق حقارتها ذاك الذي دعاك. هكذا أيضًا ينبغي أن تُجاهد – بمعونة المسيح وبقدر إمكانك وبغيرة – حتى تقترب روحك بضميرٍ غير مرتبك إلى العيد المقدَّس الذي للملك السرمدي ربِّنا ومُخلِّصنا، إذ تتزيَّن روحك بالفضائل المُتعدِّدة.

فلتتزيَّن روحك بجواهر البساطة، وزهور ضبط النفس والعفَّة والمحبة المُضيئة والصَّدقة المليئة بالفرح. لأنه إذا تحقَّق الربُّ يسوع من احتفالك بميلاده بتلك الميول المقدَّسة، فإنَّه يتنازل ويأتي، ليس فقط لزيارة روحك؛ بل يسكن باستمرار مُستريحًا فيها. هكذا مكتوب: «كَمَا قَالَ اللهُ: "إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ"» (٢كو ٦: ١٦)، وأيضًا: «هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤ ٣: ٢٠).

كم تكون سعيدةً النفس التي جاهدت، بمعونة الله، لتوجيه حياتها بهذه الطريقة، حتى تكون مستعدَّةً أن تستقبل الربَّ يسوع ليسكن فيها! وكم تكون تعاسةُ النفس التي يُرثى لها بدموعٍ غزيرة، إذ يكون ضميرها قد تنجَّس بأعمالٍ شريرة! إنها غطَّت ذاتها بظلمة الرذيلة، وأحرقت ذاتها بنار الغضب، ودنَّستها بالانغماس في الملذَّات، وحطَّمت ذاتها بطغيان الكبرياء، حتى لا يرتاح فيها المسيح؛ بل يسود عليها الشيطان! وإذا لم يُسرِع علاج التوبة لمعونة تلك النفس، فإنَّ النور الحقيقي يرفضها وتسود عليها الظلمة. فالإنسان الذي من هذا النوع ينبغي ألَّا يفقد الثقة في صلاح الرب، ولا ينبغي أن يتغلَّب عليه اليأس؛ بل بالحري أن يلتجئ إلى التوبة في الحال. فبينما تكون جروح خطاياه لا زالت جديدة، ينبغي أن يستعمل العقاقير النافعة لنفسه. إنَّ طبيبنا قادرٌ على كلِّ شيء، وهو معتادٌ أن يشفي جروحنا، حتى إنه لا يسمح ببقاء أيِّ أثرٍ لندبة الجرح.

تهيئة نفوسنا للتناول من جسد الربِّ ودمه الأقدسَيْن:

وكما إنه ينبغي أن تنأوا بأنفسكم كلَّ حين عن الزنا والنجاسة، يا أحبائي، وبقدر استعدادكم للاحتفال بذكرى ميلاد الربِّ أو أيِّ أعيادٍ مقدَّسة أخرى؛ لذلك ينبغي أن تُقاوموا الغضب مثل أكثر الوحوش شراسةً، وانبذوا الحقد من قلوبكم مثل سُمٍّ قاتل. واجعلوا الحُبَّ في

قلوبكم عظيمًا لدرجة أنه لا يوجَّه فقط لأصدقائكم، بل أيضًا لأعدائكم. وذلك حتى تقولوا بثقةٍ في صلاتكم: «اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا» (مت ٦: ١٢).

فإذا كان الإنسان لديه حقد على أحدٍ، فكيف يقترب إلى مذبح الرب بثقة، فإنَّ القدِّيس يوحنا يقول: «كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ» (١يو ٣: ١٥). فكيف يجرؤ ذلك الإنسان أن يتناول من الإفخارستيا قبل أن يتوب؟ كما إن القدِّيس يوحنا يقول: «مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلَا يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ» (١يو ٢: ١١)، كما يقول أيضًا: «مَنْ لَا يَحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ» (١يو ٣: ١٤). وأيضًا: «إِنْ قَالَ أَحَدٌ: "إِنِّي أُحِبُّ اللهَ" وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟» (١يو ٤: ٢٠).

فإذ نُفكِّر نحن باستمرار في هذه الحقائق، يا أعزَّائي، فإنَّ الصالحين ينبغي أن يُجاهدوا، بنعمة الله، على المُثابرة على الأعمال الصالحة، لأنه ليس ذاك الذي بدأ هو المُزكَّى، بل إنَّ «الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ» (مت ١٠: ٢٢). فليستأصل الإنسان من نفسه الشرَّ حتى يمكنه أن يعمل الصلاح. وعندما يأتي يوم الدينونة، لا يُعاقَب مع الخطاة بل يستحقُّ الثواب الأبدي مع الأبرار والرحماء، وذلك بمعونة ربِّنا يسوع المسيح الذي له الكرامة والمجد إلى الأبد، آمين.

ضرورة امتحان أعماق نفوسنا:

❖ وفي عظته رقم ١٨٨، **قال القدِّيس سيزاريوس:**

ليتنا نمتحن كلَّ أعماق نفوسنا بعنايةٍ قبل عيد ميلاد مُخلِّصنا، لئلَّا توجد هناك خطية مخفيَّة بداخلنا تُخزي نفوسنا، وتنخر في ضمائرنا، وتُزعج عينَي الجلال الإلهي. لذلك يجب على كلِّ واحدٍ منَّا أن يُهيِّئ ويُزيِّن نفسه **للاحتفال** بعيد الميلاد بدون حبٍّ للمال والغضب والكبرياء؛ وإذا رأى الربُّ كلَّ واحدٍ منَّا مُزيَّنًا بأعمالٍ صالحة، فبهذا المقدار سوف يمنح له نعمة رحمته. وكذلك إذا رأى الربُّ الإنسانَ مُتسربلًا بضياء المحبة، مُزيَّنًا بجواهر البرِّ أو الرحمة أو العفة أو التواضُع، فيكون ذلك الإنسان رحيمًا ورقيقًا وفطنًا؛ فإنَّ الربَّ – بواسطة خدمة كهنته – سوف يمنح ذاك الإنسان جسده ودمه الأقدسَيْن، ليس لإدانته بل كعلاجٍ وترياقٍ لعدم الموت. ولكنه إذا رأى أيَّ واحدٍ زانيًا وطمَّاعًا ومُتكبِّرًا، فأخشى من أنه يقول له كما قال في الإنجيل: «يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟!»، فحينئذٍ، لا سمح الله، يحدث ما تبع ذلك:

«ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (مت ٢٢: ١٢و١٣). انظروا نوع الحُكْم الذي يتلقَّاه في يوم الدينونة ذاك الإنسان الذي جاء إلى عيد الرب بدون علاج التوبة وهو منجَّسٌ بالرذائل!

اتِّحاد المسيح بعروسه الكنيسة:

إنه في عيد ميلاد الربِّ، يا أحبَّائي، قد اتَّحد المسيح بعروسه الكنيسة كما في زيجةٍ روحيَّة. وحينئذٍ «الْحَقُّ مِنَ الأَرْضِ يَنْبُتُ، وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطَّلِعُ» (مز ٨٥: ١١). وحينئذٍ أيضًا "خرج العريس من خدره" (مز ١٨: ٥ سبعينية)، أي إنَّ كلمة الله خرج من رَحِم عذراء. لقد خرج مع عروسه، أي اتَّخذ له جسدًا بشريًّا (مُشابهًا لنا في كلِّ شيءٍ ما خلا الخطية). وطالما أننا دُعينا لهذه الزيجة المقدَّسة وأُتيح لنا أن نحضر وليمة الآب والابن والروح القدس، فلنهتم بنوع الثياب التي ينبغي أن نلبسها؛ لذلك فلنُنَقِّ قلوبنا وأجسادنا بقدر إمكاننا.

ولهذا السبب، أيها الأحبَّاء، ينبغي أن نتنبَّه إلى تلك الحقائق برعدةٍ عظيمة وليس كشيء زائل. لأننا قد دُعينا إلى زيجةٍ نكون فيها نحن أنفسنا العروس إذا عشنا حياةً صالحة. حقًّا إننا قد دُعينا إلى مائدة لا يُقدَّم عليها طعام بشري بل خبز الملائكة. ولذلك ينبغي أن نهتم ألَّا نظهر هناك ملتحفين بالثياب العتيقة للرذائل بداخل نفوسنا؛ بل ينبغي أن نكون مُزيَّنين بلآلئ الأعمال الصالحة. وبينما تجعل العفَّةُ الصالحين يُنيرون بصفاء أمام الله، فإنَّ الخطية تجعل الأَثَمَة يَظْهَرون بثيابهم القذرة.

وكما نصحتكم كثيرًا، بأنه عند اقتراب عيد ميلاد ربِّنا أو الأعياد الأخرى، يجب أن تتجرَّدوا من كلِّ غضب؛ فافتدوا أنفسكم من الخطايا بالتوبة والصَّدقة، ولا تُضْمِروا أيَّ حقدٍ على أحدٍ في قلوبكم، واكنزوا لأنفسكم الحبَّ في السماء.

التمسُّك بفضيلتَي المحبة والتواضُع:

❖ وفي مقالته رقم ١٨٩، وهي بعنوان: "مجيء ربنا"، قال **القدِّيس سيزاريوس**:

أرجوكم، أيها الإخوة الأعزَّاء، أن تُجاهدوا بغيرة لكي تحبوا بالمودَّة الأخويَّة بكلِّ قلوبكم، وبالحبِّ الذي يُعرَف بأنه أُمُّ جميع الفضائل، وبالتواضع الذي برهن على أنَّ المسيحية مبنيَّة على أساس الحب.

(البقية صفحة ٣٠)

ميلاد المسيح

كحَدَث خلاصي تاريخي

العائلة المقدَّسة كمصدر موثوق به

لأخبار الميلاد البتولي[1]

❖❖❖

العائلة المقدَّسة:

مِنْ الطبيعي أنَّ كثيرين من أفراد عائلة الربِّ يسوع كانوا على معرفةٍ بأحداث ميلاد المسيح ابن الله، وهم: يوحنا المعمدان، العذراء مريم، يوسف النجَّار خطيب العذراء مريم، أليصابات، زكريا الكاهن، سمعان الشيخ، حَنَّة بنت فنوئيل، يوحنا الرسول، إخوة يسوع (أبناء خالته) وهم: يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا، سمعان بطرس، وكذلك مَن يُسمِّيهم الإنجيل "أخوات يسوع" (مر ٦: ٣؛ مت ١٣: ٥٦)؛ ثم أُخت مريم العذراء أي خالة يسوع التي يذكرها يوحنا البشير أنها «أُخْت أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا» (يو ١٩: ٢٥). كلُّ هؤلاء كانوا عائلة واحدة.

وبالرغم من أنَّ كثيرين من هذه العائلة كانوا في وقتٍ ما غير مؤمنين بالمسيح (مر ٣: ٢١،٣١؛ يو ٧: ٥)، إلاَّ أنهم بعد قيامة وصعود المسيح آمنوا، وصاروا ضمن الكارزين والكارزات مع التلاميذ يُبشِّرون بقيامة الربِّ من بين الأموات (أع ١: ١٤)، وكان بعضهم يجولون ويُبشِّرون مع الرُّسُل (١كو ٩: ٥).

❖ لقد كانت العذراء مريم، وربما أعضاء آخرون في هذه العائلة، كانوا المصدر المُباشر لأخبار ميلاد المسيح.

لذلك، فوجود العذراء مريم أُم يسوع وإخوته (أبناء وبنات خالته)، وعلى الأخصِّ

(١) عن كتاب: "تأملات في شخص المسيح الحي"، للمُتنيِّح الأب باسيليوس المقاري (تنيَّح في ١ يناير ٢٠٢١م)، الطبعة الأولى: ٢٠٢١م، ص ١٦٢ – ١٦٥.

يعقوب الرسول[٢]، ضمن الآباء والأخوات الكارزين بقيامة المسيح، والمُتذكّرين لأحداث الميلاد البتولي؛ كان وجودهم على قيد الحياة، يقطع دابر كلّ احتمالٍ بإشاعة أيَّة روايات أسطوريَّة غير حقيقية عن الميلاد المُعجزي ليسوع المسيح، وذلك بتصدِّي هؤلاء، والحفاظ على الرواية الحقيقيَّة لأحداث البشارة والحَبَل البتولي والميلاد المُعجزي للربِّ يسوع؛ وذلك على مدى عشرات السنين من بعد صَلْب المسيح وقيامته. وهذا ما شَهَدَ به الكُتَّاب المسيحيون في القرون الأولى للمسيحية[٣].

❖ ولكن الأخبار الصحيحة للحَبَل البتولي والميلاد المقدَّس للربِّ يسوع، صارت بالتدريج وبعد قيامة المسيح، سَنَدًا ومقياسًا وقاعدةً لجوهر البشارة بالمسيح. وكيف كان يمكن أن يكون غير هذا؟

فالعذراء القدِّيسة مريم ويوسف الشيخ كانا هما المؤتمنَيْن على أسرار أحداث الحَبَل والميلاد البتوليَّيْن، قبل أن يكتسبا صفة الشرعيَّة والتصديق من قِبَل المؤمنين بعد حَدَث قيامة المسيح من بين الأموات.

سبب عدم شيوع هذه الأخبار قبل قيامة المسيح:

إنَّ عدم شيوع هذه الأخبار عن الحَبَل والميلاد البتوليَّين قبل قيامة المسيح، كان سببه أنَّ إعلانها على العامة أثناء حياة الربِّ يسوع على الأرض وكرازته، يمكن أن يُسبِّب – من جانب المُقاومين للربِّ يسوع – شيئًا من تغيُّر نظرة اليهود للقدِّيسة العذراء مريم من جهة عدم تصديقهم لهذه الأخبار، ما ينعكس على شكِّهم في شرعيَّة ولادة الطفل يسوع بدون زواج بشري بين يوسف ومريم العذراء.

وفعلًا نجد في (إنجيل يوحنا ٨: ٤١) أنَّ المُقاومين للربِّ يسوع، كانوا يُلمِّحون بإشارةٍ خفيَّة إلى أنه "مولودٌ غير شرعي" بقولهم: «إننا لم نولَد من زنا».

كنز الأحداث المعجزيَّة محفوظٌ في قلب مريم:

يُشير القدِّيس لوقا بنوعٍ من التخصيص: «وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَا الْكَلاَمِ

(٢) ارجع إلى (أع ١: ١٤؛ ١٥: ١٣-٢١؛ غل ١: ١٩؛ ٢: ٩) عن دور يعقوب الرسول.

(3) Africanus, *Epis. To Aristides.*

مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا»، «وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَهِ الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا» (لو ٢: ١٩، ٥١). وهذه الشهادة من القدِّيس لوقا البشير تجعل من القدِّيسة العذراء مريم – على سبيل الحَصْر – هي الحافظ الأمين على سرِّ ولادة الربِّ يسوع، إلى أن حلَّ الزمان بعد قيامة المسيح لإعلان هذا السرِّ على المؤمنين.

وهذا يوضِّح لنا: لماذا تباطأت المُشاركة الشعبية لأخبار الولادة البتوليَّة بكلِّ تفاصيلها بين المؤمنين؛ بعكس بُشرى القيامة من بين الأموات التي انتشرت كمثل انتشار النار في الهشيم بين كلِّ تلاميذ المسيح؟! ولكن هذا التباطؤ في انتشار أخبار أسرار ولادة المسيح، لم يكن يحمل معنًى لعدم أصالة وصِدْق وموثوقيَّة الميلاد العذراوي.

المضادة الدوكيتية: إنكار حقيقة بشريَّة المسيح

عن طريق إنكار الولادة الحقيقيَّة للمسيح:

إنَّ الميلاد البتولي من العذراء يؤكِّد على حقيقة وكمال بشريَّة المسيح، التي هي ركنٌ هام في عقيدة تجسُّد المسيح. وقد وقفت الكنيسة الأولى ضد أفكار طائفة الدوكيتيين أو الدوسيتيين، والذين اشتُقَّ اسمهم من الكلمة اليونانية δοκέω، التي تعني: "يُشبَّه به" أو "يُخيَّل له" أنَّ جسد المسيح كان خيالًا أو مُشبَّهًا به. وهذه الهرطقة شكَّكت في أن يكون الرب يسوع قد وُلد أصلًا وبطريقةٍ طبيعية.

❖ وقد ردَّ عليهم **القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي** من الآباء الرسوليين، وتلميذ القدِّيس يوحنا البشير، في رسالته إلى أهل "ترال"، والتي أكَّد فيها على أنَّ يسوع المسيح "هو من أصل داود، عن طريق مريم، وأنه قد وُلد حقًّا، وأكل وشَرِب"[٤].

❖ وحدث الميلاد **يرفض الرأي الذي شاع في القرن الثاني الميلادي بأنَّ يسوع كان إلهًا فقط،** حتى أنه لم يُولَد أصلًا.

❖ لذلك، وكما قلنا، فإنَّ تعليم آباء الكنيسة القدِّيسين الأوائل كان يؤكِّد على أنَّ يسوع قد وُلد من القدِّيسة العذراء مريم حقًّا وبالمعنى الحرفي، ومواجهة الادِّعاء الكاذب بأنَّ ولادته من العذراء كانت مظهر الجسد، أو خيال الجسد، أو جسد غير حقيقي.

---

(4) Ignatius, *Trallians*, 8:1-2.

ويردُّ على هؤلاء **القدِّيس كيرلس الأورشليمي** في القرن الرابع بقوله: "لقد رضع منها، بحقٍّ، لبنها"[٥].

وتوجد أيقونة قبطيَّة مشهورة من القرن السادس في دير باويط بصعيد مصر، تُصوِّر القدِّيسة العذراء مريم وهي تُرضِع الطفل يسوع المولود منها.

❖ والمسيحيَّة لا تتبرَّأ أو تخجل من ذِكْر اسم "أحشاء" القدِّيسة العذراء مريم التي منها وُلد المسيح، بل هي تُردِّد هذه الكلمة في تسبحات الكنيسة وصلواتها ومدائحها، وعلى الأخص خلال شهر كيهك المُسمَّاة سبعة وأربعة.

فالجسد الذي أخذه ابن الله الكلمة، أخذه لحمًا ودمًا حقيقيَّيْن من جسد العذراء ودمها. فهو جسدٌ حقيقي ودمٌ حقيقي، وليس شَبَهًا أو خيالًا. فالتجسُّد هو لاهوتٌ كامل في بشريَّةٍ كاملة حقيقيَّة، متَّحدَيْن معًا بدون اختلاطٍ ولا امتزاجٍ ولا تغيير في شخص المسيح الواحد.

---

(5) Cyril of Jerusalem, *Catech. Lect.*, IV. 10.

****

(بقية المنشور صفحة ٢٦ – "ميلاد حبيبنا الرب يسوع")

لذلك تمسَّكوا بإخلاصٍ بهاتين الفضيلتين (الحب والاتضاع) بكلِّ قدرة نفوسكم، وحافظوا عليهما بمعونة الربِّ وبشعورٍ من السعادة. واعلموا حقًّا أنَّ الإنسان الذي شاء أن يهتم بهاتين الفضيلتين، أي التواضُع والمحبة، سيُمكنه أن يقترب من عيد ميلاد الربِّ بكلِّ ثقة. فدعونا نُجاهد لنُكرِّس أنفسنا للربِّ بطريقةٍ تجعلنا نتجمَّع معًا في تلك الأيام القليلة المُباركة بما يكفينا للسنة كلها، لأن الربَّ نفسه تكلَّم عن تلك الأيام التي لمجيئه بالنبي القائل: "في أيام أعيادكم ينبغي أن تُذلِّلوا أنفسكم" (انظر: لا ١٦: ٢٩).

ولماذا قال الرب ذلك؟ لأن الأصوام والإماتة التَّقويَّة تضبط الأجساد المتواضعة، وتنقِّي القلوب الدَّنسة. إنها تسحب العافية من أعضاء الجسد الثائرة وتُعطيها للضمائر. وخطايا الشهوة تفتَديها مشقَّات وأتعاب الأجساد، ومباهج الحياة تُقمَع بواسطة ممارسات الصليب الشَّاقَّة. وفي الوقت الذي تنضب فيه منابع الخطية، فإنَّ الخطية نفسها تتلاشى وتصير كلا شيء بمعونة ربِّنا يسوع المسيح.

بمناسبة

أعياد الظهور الإلهي

بين الميلاد والغطاس

فرح الخليقة المحبوبة

✠✠✠

سرُّ التدبير الإلهي لخلاص البشريَّة:

تُعدُّ "الإبيفانيا" نقطة فاصلة في سرِّ التدبير الإلهي لخلاص البشريَّة، كونها أظهرت للجالسين في الظلمة وظلال الموت، بدء معرفة سرِّ الثالوث القدوس واستعلان الحبِّ اللانهائي الأزلي لجنس البشر، وهو المذَّخَر عند الله من قبل إنشاء العالم.

"الإبيفانيا ἐπιφάνεια" وتعني "الاستعلان"، و"الظهور"، و"الكشف"، و"الإضاءة"، وأيضًا "الإشراق": «يُشرِق ἐπιφάναι الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ» (عد ٦: ٢٥).

وكما نعلم من كتابات الآباء في القرون الثلاثة الأولى، كانت هذه الكلمة تشمل أعياد الميلاد والغطاس معًا[1]. أمَّا القدِّيس يوحنا كاسيان (٣٦٠ – ٤٥٠م) فيذكر في "المناظرات"، أنَّ في التقليد القبطي كان الاحتفال بالإبيفانيا يشمل الميلاد، وظهور النجم للمجوس، والعماد، وعُرس قانا الجليل معًا[2].

"الثيئوفانيا" هي الظهور الإلهي المُعْلَن:

أمَّا "الثيئوفانيا θεοφάνεια" وتعني حرفيًّا "الظهور الإلهي"، فقد بُدِئَ في استعمال هذه الكلمة في الغرب في القرن الخامس الميلادي، ولم تَرِد في نصوص الوحي المقدَّس. وبلا شكٍّ فالثيئوفانيا هي ذِكْرى معمودية الرب.

وإن كان الميلاد هو الظهور بوجه العموم للثالوث القدوس في قرية بيت لحم: «**اَلرُّوحُ الْقُدُسُ** يَحِلُّ عَلَيْكِ، **وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ** تُظَلِّلُكِ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا **الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ** مِنْكِ يُدْعَى **ابْنَ**

---

(١) انظر الأب متى المسكين، كتاب: "أعياد الظهور الإلهي"، البشارة – الميلاد – الختان – الهروب لمصر – الغطاس – عُرْس قانا الجليل، الطبعة الخامسة: ٢٠١٤، مطبعة دير القدِّيس أنبا مقار، ص ٣٤٨.

(2) Cassian. X, 2nd confer. of Abba .Issac.

اللهِ» (لو ١: ٣٥)[٣]، لكن هذا الظهور لم يكن على الملأ فلم يَدْرِ به سوى بضْعة رعاة ولاحقًا مجوسٌ غرباء. لذا فالغطاس، هو بالدرجة الأولى، الظهور الإلهي المُعْلَن: «وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ"» (لو ٣: ٢١-٢٢)؛ بمعنى أنه ظهور الابن الكلمة المُتجسِّد علانيةً للمجتمع اليهودي، إعلانًا ببدء الكرازة العلنية واتِّخاذ تلاميذ ورُسُل ومُريدين لنَشْر بشارة الخلاص.

العلاقة الوثيقة ما بين الميلاد ومعمودية الربِّ:

إنَّ الارتباط الوثيق بين الميلاد ومعموديَّة الرب، هو ارتباطٌ كيانيٌّ لا ينفصم كارتباط الجذر بساق النبات: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا. يُوحَنَّا شَهِدَ لَهُ» (يو ١: ١٤ – ١٥). فهذا الذي صار جسدًا وحلَّ بيننا (بمولده)، ها هو نراه بمجده ومجد الآب الحالّ فيه بشهادة يوحنا المعمدان على الأردن.

وفي الميلاد بعد ما جاءت البُشرى بميلاد القدوس، صدحت الملائكة: "الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي ..." (لو ٢: ١٤). وقد ظهر هذا المجد وتحقَّق عيانًا بيانًا بصوتٍ من السماء: «أنتَ ابْنِي الْحَبِيبُ» (مر ١: ١١). وهل يوجد مجد أسمى من هذا المجد، كون الآب يُكلِّمه، إنها شهادةٌ للأجيال أنَّ هذا النازل في المياه هو هو القدوس المولود المدعو من الملاك **ابن الله**.

لقد رَبطَ الوحي المقدَّس، بخيطٍ ذهبي، ومِن ثمَّ نَسَجَ ثوب التدبير الإلهي بوشيعة (وهي المكوك في نول النَّسَّاج) الروح القدس، وأوصل طرفَي التدبير الإلهي على مدى ثلاث وثلاثين سنة، بإبداعٍ يفوق كلَّ عقلٍ وفكرٍ بشريَّيْن. فإن كان «كُلُّ مَجْدِ ابْنَةِ الْمَلِكِ مِنْ دَاخِلٍ، مُشْتَمِلَةٌ بِأَطْرَافٍ مُوَشَّاةٍ بِالذَّهَبِ، مُزَيَّنَةٌ بِأَشْكَالٍ كَثِيرَةٍ. تُقَدَّمُ إِلَى الْمَلِكِ عَذَارَى خَلْفَهَا، قَرِيبَاتُهَا إِلَيْكَ يُقَدَّمْنَ» (مز ٤٤: ١٤ – ١٥س)، فكم وكم يكون بهاء الملك ذاته الذي لا يُحَدُّ ولا يوصف. ومن هنا يكون الارتباط بين الميلاد والغطاس ضرورةً حتميَّة نراها بصورٍ متعدِّدة، ومثال ذلك:

---

(٣) الظهور السرّي و المستيكي للآب نلمحه في وَعْد الربِّ للتلاميذ قبيل صعوده: «وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي» (لو ٢٤: ٤٩).

أمثلة على الارتباط بين الميلاد والمعموديَّة:

- ❖ لقد تكوَّن الجسد الإلهي في الحشا البتولي في بطن العذراء والدة الإله بالروح القدس؛ أمَّا في الماء وبالروح أيضًا تلد بطن المعموديَّة أعضاء جسد المسيح، بل مُسحاء كل يوم وكل جيل.
- ❖ وعلى نفس المنوال، فالروح القدس أَظْهَر لنا سرًّا ابن الله الكلمة بالميلاد؛ أمَّا بالمعموديَّة فأظهره علانيةً للعالم كلّه.
- ❖ بميلاد بيت لحم أُظهِر المسيح أنه **ابن الإنسان**؛ وفي معموديَّة الأردن أَظهَر هو بعينه أنه **ابن الله** الواحد من الثالوث القدوس.
- ❖ في بيت لحم وفي حياءٍ بتولي عذراوي وفي "مذود خان" خفي، كانت الحمامة الحسنة (العذراء مريم) في هدوء الليل فَرِحة بالميلاد؛ وفي الأردن ظهرت حمامة الروح القدس علانيةً لكلِّ الشعب مُعلِنةً ميلادَ البشرية الجديدة: "هذا هو ابني الحبيب ...".
- ❖ في بيت لحم سرُّ ميلاد المسيح ونحن مولودون فيه

البشريَّة تستمدُّ وجودها وتجديدها من حياة المسيح ووجوده:

ويقول الأب **متى المسكين**:

[يوم أن عيَّدنا للميلاد، أدركنا – بسرِّ الروح – أنَّ لنا مع المولود في المذود صلةً صميميَّة في هذا الميلاد عينه، إذ حسبنا أنفسنا من لحمه وعظامه. فكان الميلادُ ميلادَنا، والمذودُ مَهْدَنا، وبيتُ لحم مسقطَ رأسنا، واكتشفنا مع بدء حياة المسيح على الأرض بدءَ حياتنا.

وهكذا أصبح واضحًا أنَّ: «المسيح حياتنا»، وكان لنا في هذا الإدراك الروحي الرؤيوي فرح، إذ حسبنا أنفسنا خليقةً جديدةً تستمدُّ حياتها ووجودها من حياة المسيح ووجوده يومًا فيومًا][٤].

أمَّا في المعمودية فيتحقَّق هذا الميلاد ويُختَم بختم الروح القدس: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا

(٤) الأب متى المسكين، المرجع السابق، ص ٣٨٥.

يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ» (يو ٣: ٥).

- ❖ في الميلاد تحمَّم الطفل يسوع بالماء كشريعة التطهير في الناموس؛ أمَّا في الأردن، فهو الذي قدَّس الماء وطهَّره ليكون تقديسًا وتطهيرًا لكلِّ العالم على مدى الأجيال.
- ❖ في بيت لحم قَبِلَت البشريَّة المسيح ابن الإنسان مولودًا كواحدٍ من البشر؛ أمَّا بالمعمودية: «كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يو ١: ١٣).
- ❖ في الوقت الذي استقبلت فيه الحيوانات العُجْم الطفل يسوع في المذود بدفء أنفاسها؛ استقبلته الملائكة بالتمجيد والفرح على ضفاف الأردن[٥]. ولا غرو، فالمجد الإلهي والحضرة الإلهيّة لا يكونان إلَّا بصُحبة ملائكة المجد.

- ❖ بادر هيرودس الملك بتعقُّب واضطهاد الطفل الوليد؛ أمَّا بعد عماد الربِّ، فقد سارَع الشيطان ذاته بتجربة المُخلِّص بشتَّى الضروب.
- ❖ المُعتَبَر أبًا جسديًّا (بحسب الناموس) توارى مختفيًا وقت الميلاد؛ في حين أَعلَن الآب السماوي ذاته بصوتٍ مُدَوٍّ أمام العَلَن بمجدٍ وجلال لحظة العماد.

كما يقول الأب **متى المسكين**:

[كان ميلادنا يتجدَّد كلَّ صباح، حتى صارت بيت لحم فردوسنا الجديد الذي نتنعَّم به كلَّ يوم. واليوم نُعيِّد لعماد المسيح في الأردن، الذي هو – بالحقيقة – عمادنا السرِّي الذي أخذناه بكلِّ مفاعيله في جُرْن معموديتنا الصغير؛ حيث يد يوحنا المعمدان التي وضِعَت على "رأس جنسنا"، لا يمكن أن تُفارِق رأسنا حتى نهاية أيامنا، للتوبة الدائمة ومغفرة الخطايا وبرٍّ أبديٍّ مُكمَّل كميراث][٦].

---

(٥) انظر الأيقونة أعلى هيكل القدِّيس يوحنا المعمدان بكنيسة القدِّيس أنبا مقار بديره العامر، وهي المنشورة في هذا المقال.

(٦) الأب متى المسكين، المرجع السابق، ص ٣٨٥.

«وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ»

(لو ٢: ٤٠)

- **«فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ» (عب ٢: ١٤).**

تمهيد:

بَعدَ ما سَرَدَ الروح القدس لنا، على لسان القدِّيس لوقا البشير قصة ميلاد الربِّ يسوع في بيت لحم، وظهور الملائكة، وزيارة الرُّعاة، ثمَّ أَتبعَها بقصة مُقابلة مريم أُمِّه ويوسف ومعهم يسوع، لسمعان الشيخ في الهيكل، ونُبوَّته عن الطفل يسوع، وتَسبِحة حنَّة بنت فنوئيل في الهيكل، ابتهاجًا بمَولِد الربِّ يسوع؛ فقد لَفَتَ البشير أنظارنا نحو عَظَمة هذا المولود وجلال قَدرِه منذ طفولته وصِباه، وهي الأمور التي حَفِظتها مريم أُمُّه في قلبها حتى وقت إعلانها بالروح القدس في الوقت المُعيَّن.

ولكنَّ سرَّ التَّجسُّد العظيم الذي تَمَّ بإخلاء الربِّ لنفسه، وولادته بالجسد من العذراء، لم يَكُن بمثل هذا الوضوح والإدراك في ذلك الحين؛ بل ظلَّ الأمرُ مَحفوظًا في قلب كلٍّ من مريم ويوسف يتأمَّلاه كلَّ يوم في هذا الصَّبي المولود، ويَنمو فيهما مع نُموِّه هو أيضًا في النعمة والقامة والحِكمة!

فلم يكن الجميع على مستوى الإدراك لعظمة هذا السرِّ، أو مُستَوعِبًا لأَبعاده ومعانيه؛ فبينما البشير يَكتب بكلِّ وعي الروح أنَّ الصبي كان يَنمو ويَتقوَّى بالروح مُمتلئًا بالحِكمةِ، مُتَفهِّمًا قَصْدَ الروح، بالإشارة إلى يسوع الإنسان الكامل؛ نجد آخرين يَختلط الفَهْم عندهم – مثل الأريوسيِّين – فيأخذون الكلمات كَذريعة لدَعم انحرافهم، بادِّعاء أنَّ هذا يُشير إلى عدم ألوهيَّة الربِّ يسوع، وأنَّه مجرَّد إنسانٍ عاديٍّ فقط. كما يَنحرف آخرون في ادِّعاءٍ مُعاكس، بأنَّ يسوع لم يكن له نفسٌ بَشريَّة، وأنَّ اللوغوس (الكَلمة) قد حلَّ في الجسد مباشرةً محلَّ النفس البشريَّة؛ ومن ثمَّ، فهو لم يَكنْ مثل البَشر العاديِّين. ولكنَّ

الفهم الحقيقي لمعنى نُمُوِّ الصبي (يسوع) وتقويته بالروح، لا بد أن يُفهَم في إطاره الصحيح، الذي أدرَكته الكنيسة وآباؤها، وهو ما سنوَضِّحه فيما يلي.

«وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً» (لو ٢: ٤٠):

يَتَّضِح من الآية المذكورة أنَّ ليسوع نفسًا بشريَّة، وجسدًا بشريًّا (متَّحدان بلاهوته). وهذا بعكس ما ذهب إليه أبوليناريوس أسقف لاودكيَّة (في القرن الرابع)، الذي زَعَم أنَّه لم يَكُن ليسوع نفسٌ بَشريَّة، لأنَّ لاهوت الكلمة قد حلَّ محلَّ النفس البشريَّة في جَسده!

فالبشير هنا يَكتب بالروح عن يسوع (الابن المُتَجَسِّد)، الذي أخذ صورتنا، وأخلى ذاته من أجلنا. فإخلاء الربِّ لذاته بقبوله للطبيعة البشريَّة في كلِّ قاماتها، وباتِّحاده مع الناسوت – رغم عدم انفصال لاهوته عنه – قد جَعله شريكًا لنا ولناسوتنا؛ إذ أَخَذَ ما للناسوت، بما كان يُمثِّلنا – بحسب الجسد، ما خلا الخطيَّة – واشترك معنا في كلِّ مراحل وقوانين حياتنا فيما يَخصُّ هذا الجسد، تأكيدًا **لتَجَسُّده الطاهر وحقيقة هذا الجسد**، وتَقديسًا لكلِّ مراحل النُّموِّ الإنساني، إذ لم يَسْتَنكِف أنْ يَدعونا إخوَةً له؛ فصار هو بِكْرًا لنا. وقد سُجِّل عن الصبي، أنَّه كان ينمو في القامة (في الجسد) لكي يُسلِّمنا نحن هذه القامات في كلِّ مراحل نُمُوِّها، مُقدَّسة وبحالة روحيَّة كاملة.

وعن هذا الأمر يكتب **الأب متى المسكين**:

[فانفتاح الذِّهن والعُمق الروحي على معرفة الله، وتَقَبُّل روح الحِكمة لتُرافق النموَّ في القامات الجَسديَّة، أمرٌ مُهمٌّ للغاية. لأنَّ بدء عمل اللاهوت انتظر حتى بلغ المسيح الثلاثين من عمره، أي حين أكمل كلَّ القامات البشريَّة بكلِّ حِكمة ورزانة، لا لمنفعته الخاصَّة وحَسب، ولكن لكي يُسلِّمنا هذه القامات جميعًا مُقدَّسة وبحالة روحيَّة كاملة ونِعمة][1].

فيا للعَجب، كيف أخلى الله ذاته ليَصير إنسانًا يَنمو مثل باقي البَشر، مع إنَّه الكامل منذ الأزل في لاهوته. فقد كانت طبيعته الإنسانيَّة تامَّة وكاملة في كلِّ مرحلة مِن مراحل النُّموِّ. أمَّا المقصود أنَّه كان **"يَتَقوَّى بالروح"**، فهو أنَّ عقله البشري كان يَتَّسِع في المعرفة والعِلم مع نُموِّه الجسدي الطبيعي تدريجيًّا، وهذا لا يَنفي لاهوته، كما لا يَنفي نُموَّه في القامة والقوَّة، فيسوع اختبر في حياته بالجَسد على الأرض كلَّ أحوال الإنسان، إذ كان طفلًا ثمَّ صبيًّا ثمَّ شابًّا ثمَّ رجُلًا كامل السِّنِّ؛ وذلك لكي يَشعر مع جميع الناس، صِغارًا

(١) "الإنجيل بحسب القدِّيس لوقا - دراسة وشرح وتفسير"، الأب متى المسكين، ص ١٤٢.

وكبارًا، أنَّه مثلهم في كلِّ شيء، غير أنَّه كان كامل القداسة[٢].

فكلُّ قامة عاشها الربُّ في الجسد، تكون قد تَقدَّست بالنعمة الإلهيَّة التي كانت كمثل طاقة النور الذي يَزيد بِقدر اتِّساع الحَدَقَة (القامة الإنسانيَّة). فنراه صَبيًّا في الهيكل يَتحاور مع مُعَلِّمي الناموس ويَسألهم، وهم مُنبَهرون مع أَبويه مِن حِكمته، وذلك مع خضوعه لهما! ونراه في كمال النُّضج الإنساني يَصنع الأشفِيةَ والمُعجزات؛ وفي تمام كماله الإنساني (الطبيعي)، يُسَلِّم ذاته لصالبيه، وبعدها يَقوم ويَصعد إلى السموات بقوَّة لاهوته.

أمَّا عن لاهوت الربِّ يسوع، فهو كائنٌ فيه كاملًا، ولكنَّه كان يُستَعلَن فيه بالنعمة في كلِّ مرحلة مِن مراحل النموِّ في القامة الإنسانيَّة (الناسوتيَّة)، فيراها الناس. فخضوع الابن (بالجسد) للروح الكائن فيه: إذ «كَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ»، كان يُظهِر نموَّه وقوَّته وروحانيَّته وحكمته، بل وعَظَمته أيضًا، حيث كانت النعمة تَفيض عليه كإنسانٍ كاملٍ في كلِّ قامة من قاماته الجَسَديَّة، مثالًا لنا جميعًا.

رؤية الآباء لمعنى: "نُموِّ الصبيِّ في الحِكمة والقامة والنعمة":

يقول **القدِّيس كيرلس الإسكندري**، في شرحه لآية القدِّيس لوقا البشير، السابق ذِكرها:

[أنْ يُقال إنَّ الطفل كان «يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ»، فهذا الكلام ينبغي أنْ يُؤخَذ على أنَّه يُشير إلى طبيعته البَشريَّة ... لذلك لا تَتعَثَّروا في أنفسكم وتقولوا كيف أنَّ الله يَنمو؟ وكيف يَنال حِكمةً جديدةً ذلك الذي يُعطي الحِكمة للملائكة والبَشر؟ فتأمَّلوا هذا السرَّ العظيم الذي يُعطَى لنا. لأنَّ البشير لم يُقدِّم لنا الكلمة في طبيعته المُجرَّدة غَير الجَسديَّة، ولم يَقلْ عنه وهو في هذه الحالة أنَّه يزداد في القامة والحِكمة والنعمة، ولكنَّه بعد أن أوضَح لنا أنَّه قد وُلِدَ في الجسد من امرأة، وأخذَ شكلنا، فحينئذٍ يَنسِب إليه الخصائص البَشريَّة، ويَدعوه طِفلًا ويقول إنَّه كان يَتقدَّم في القامة؛ إذ إنَّ جَسدَه نَما قليلًا قليلًا خاضعًا للقوانين الجسديَّة ... وهكذا أيضًا قيل عنه إنَّه يَتقدَّم في الحِكمة، لا كَمَنْ ينال مؤونات جديدة من الحِكمة – لأنَّ الله معروفٌ بأنَّه كاملٌ تمامًا في كلِّ شيء، ولا يمكن بالمرَّة أن يكون ناقصًا في أيِّ صفةٍ مناسبة للَّاهوت – بل ازديادٌ في الحِكمة بسبب أنَّ الكلمة أَظهَر حِكمته بالتدريج بما يناسب مرحلة العُمر التي يبلغها

(٢) انظر: "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل"، جزء ٣، شرح إنجيل لوقا، ص ١٧٢.

الجسد ... إذن، فالجسد يَتقدَّم في القامة، والنفس تتقدَّم في الحِكمة، لأنَّ الطبيعة الإلهيَّة غير قابلة للازدياد، لا في القامة ولا في الحِكمة؛ إذ إنَّ كلمة الله كاملٌ تمامًا. ولذلك فإنَّه لسببٍ مناسب، رَبط بين التَقدُّم في الحِكمة ونموِّ القامة الجسديَّة، بسبب أنَّ الطبيعة الإلهيَّة أعلنت حِكمتها الخاصة بما يتناسب مع قامة النموِّ الجَسدي][٣].

أمَّا **القدِّيس أثناسيوس الرسولي** فَيَشرح الأمر بقوله:

[فَالبَشر لأنَّهم مخلوقات، لذلك فعندهم القابليَّة – بطريقةٍ ما – أنْ يَمتدُّوا للأمام وأنْ يَتقدَّموا في الفضيلة ... أمَّا ابن الله حيث إنَّه غَير مُحتاج لأنْ يَتقدَّم لكَونه كاملًا في الآب، فقد أخلى نفسه لأجلنا. **لكي بتواضعه نَستطيع نحن أن نتقدَّم وننمو**. وتَقدُّمنا ليس هو شيئًا آخر غير أنْ نَتخلَّى عن المحسوسات، وأن نَصل إلى الكلمة نفسه، حيث إنَّ تواضعه ليس شيئًا سوى اتِّخاذه لجَسدنا][٤].

ثمَّ يَستطرد **القدِّيس أثناسيوس** قائلًا:

[ولكن كُتِب هنا أنَّه يَتقدَّم إنسانيًّا، حيث إنَّ التَّقدُّم هو خاصٌّ بالبَشر. ولذا فالإنجيلي، وهو يَتكلَّم بدِقَّة وحَذَر، قد ذَكَر القامة عندما تَحدَّث عن التقدُّم، ولكن لكَونه هو **الكلمة وهو الله**، فهو لا يُقاس بالقامة، التي تَخصُّ الأجساد. إذًا، فالتَقدُّم هو للجسد، لهذا ففي تَقدُّمه كان ظهور اللاهوت لأولئك الذين رأَوه يَزداد فيه أيضًا، وكان كُلَّما كان اللاهوت يَنكشِف أكثر فأكثر، كلَّما ازدادت نِعمته كإنسانٍ أمام كلِّ الناس. فهو كطِفلٍ حُمِل إلى الهيكل، وحينما صار صبيًّا بَقِيَ هناك في الهيكل، وكان يسأل الكَهنة حول ما جاء في الناموس. وكان جسده يَنمو شيئًا فشيئًا، **والكلمة** كان يُظهِر نفسه (في الجسد)، لذا اعترَف به بطرس الرسول أوَّلًا، وبعد ذلك الجميع قائلين: "بالحقيقة هذا هو ابن الله"][٥].

ثمَّ يُشير **القدِّيس أثناسيوس** في رسائله "ضدَّ الأريوسيِّين" لمعنًى آخر رائع عن مفهوم التَّقدُّم في القامة والنعمة الموهوبة للبَشر، من وراء كلمات الوحي الإلهي، إذ يقول:

(البقية صفحة ٤٣)

(٣) "تفسير إنجيل لوقا"، العظة الخامسة، للقدِّيس كيرلس الإسكندري، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيَّة، ص ٥١، ٥٢.

(٤) "ضدَّ الأريوسيِّين"، للقدِّيس أثناسيوس الرسولي: المقالة الثالثة، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، فصل: ٥٢، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٥) المرجع السابق: ص ٢٧٦.

من
التراث الكنسي

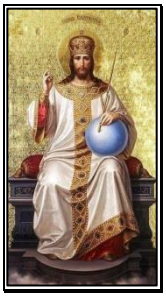

معرفة الله
كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة
من خلال البحث عنه[1]
(١٥)

نحن نعرف الله مِن خلال الكتاب المقدَّس، مِن خلال التَّقليد المقدَّس، ومِن خلال المحبَّة. فبأيِّ الطُّرُق الأخرى يمكننا أنْ نعرفه؟ يُعْرَف الله مِمَّن يبحثون عنه بكلِّ القلب والفكْر والقُدْرة (إر ٢٩: ١٣). يقول باسكال Pascal:

"إنَّ الله يُظْهِر ذاته لِمَن يبحثون عنه بكلِّ قلبهم، ويختفي عمَّن يرفضونه بكلِّ القلب. فمعرفة الله ظاهرة لِمَن يبحثون عنه ومختفية عمَّن لا يبحثون عنه بكلِّ القلب، ويهربون منه".

كما يقول الكتاب المقدَّس: **«وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ»** (إر ٢٩: ١٣)، ويقول القدِّيس مقاريوس الكبير St Macarius:

[إنْ كان القلب يشتاق دائمًا أنْ يرى الله، فهذا يعني أنَّ الله يملك على القلْب].

سأل شخصٌ سقراط Socrates قائلًا: "كيف أجد الله"؟ فأخذه سقراط إلى البحر وغمر رأسه تحت الماء، ثم سأله: "ما الذي كنتَ ترغب فيه حين كان رأسك تحت الماء"؟ فأجاب الشَّخص: "الهواء"! فقال له سقراط: **"حين تحتاج إلي الله مثلما كنتَ تحتاج إلى الهواء حين كان رأسك تحت الماء، فعندها فقط ستجد الله".**

ابحث عن الله بكلِّ قلبك وأنتَ ستجده. متى كانت آخر مرَّة كنتُ أطلب الله مثل غريق يطلب الهواء؟! ولعلَّ هذا يُفسِّر لنا لماذا الله غَيْر مُدْرَك لبعض النَّاس! يجب أنْ نسعى خلف الله بكلِّ القلب.

علَّمنا المسيح في التَّطويبات أنَّ **«طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ»**

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy.*

(مت ٥: ٦). يجب أنْ نكون جوعى وعِطاشًا إلى الله قبل أنْ نعرفه. يقول مار إسحق: **[اعطش إلى الله حتى يُسكرك بحبّه].**

لا يمكن أنْ نقتني محبَّة الله إنْ لم نعطش إليه. فالنَّاس لا يعرفون الله، لأنَّ قلوبهم تعطش إلى أشياء أخرى غير الله، والله لا يُظْهِر ذاته لِمَن لا يرغبون فيه. فالله لا يفرض نفسه على أحد. هو واقفٌ علي الباب يقرع مُنتظِرًا مَن يفتح له.

«وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ» (إر ٢٩: ١٣). لا تتعجَّب إذا كنتَ لا تجد الله وأنت لم تبحث عنه ولم تسعَ وراءه. لا تنتظر أن ترى النُّور إنْ لم تكن تبحث عن مفتاح الكهرباء.

(١) يا الله أَظْهِر لي ذاتك!

المعلِّم المسيحي الشهير ساندر سينغ Sundar Singh وُلد وتربَّى في عائلة تتبع تعاليم السِّيخ Sikh في الهند، وحين كان طفلًا كان يذهب إلى مدرسة أسَّستها إرساليَّة مسيحيَّة، مِمَّا جعله يحب العقيدة والفِكْر المسيحيَّين، وهذا سبَّب له صراعًا داخليًّا مريرًا بين حبِّه للمسيحيَّة وبين عقيدته التي تربَّى فيها. وفي فجر أحد الأيَّام كان يُصلِّي في ضيقه كعادة السِّيخ، فصرخ قائلًا: **"يا الله إذا كنتَ موجودًا، فأَظْهِر لي الطَّريق الصَّحيح وسأُكرِّس حياتي لك، وإنْ كنتَ غير موجود فسأقتل نفسي".**

وعند السَّاعة الخامسة إلاَّ ربع صباحًا، أشرق عليه نورٌ ملأ غرفته ورأى وجهًا مُنيرًا، فنظر إلى الخارج وظنَّ أنَّه لا بدَّ أنْ توجد نارٌ تشتعل، ولكنَّه لم يَرَ شيئًا. وإذ استمرَّ في صلاته، رأى أمامه وجهًا بهيًّا رائعًا مملوءًا بالمحبَّة، فظنَّ لأوَّل وهلة أنَّه بوذا Buddha أو كريشنا Krishna أو أحد الآلهة الهنديَّة؛ ولكنَّه سمع صوتًا بالهنديَّة يقول: **"إلى متى ستضطهدني؟ تذكَّر أنَّني مُتُّ مِنْ أجلك، وبذلتُ حياتي لأجلك".** وحين رأى ساندر سينغ آثار جراحات المسامير، أدرك أنَّه الربُّ يسوع، وأنَّه شخصٌ حيٌّ، وليس شخصًا مات منذ قرونٍ فائتة. فخرَّ على قدميه ساجدًا أمامه، وقَبِلَه كسيِّد، وبعدها صار مثالًا شهيرًا لحضور الله في حياة مَنْ يؤمنون به.

إنَّ الله يُظْهِر ذاته مِن وقتٍ لآخر لِمَن يبحثون عنه، مثلما فعل مع القدِّيس بولس الرَّسول حين ظهر له في الطَّريق إلى دمشق. وعلى مَرِّ العصور ظهر الله بشكلٍ منظور لأُناسٍ

كثيرين حتى يُذكّرنا ويُقوّي إيماننا بحضوره الدَّائم غير المنظور، وهو حقًّا "عمانوئيل" الله معنا: **«وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ»** (إر ٢٩: ١٣).

(٢) متطلَّبات ثلاثة للصَّلاة:

انظر إلى متطلَّبات الربِّ للصَّلاة: **«اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ»** (مت ٧: ٧ – ٨). وهنا نرى أنَّ استجابة الصَّلاة يسبقها عمل مِن الإنسان: **«اِسألوا... اُطلبوا... اِقرعوا... »**، فنحن سنجد الله حقًّا حين نطلبه ونسعى خلفه، والطَّلب هنا يعني رغبتنا في طلب الله لِذَاته وليس مِن أجل عطاياه. يقول جيرمي تايلور Jeremy Taylor: **"الصلاة مثل جسم الطائر، والأجنحة هي شَهْوة القلب في طلب الله".**

في رحلة بحثي عن الربِّ يسوع ورغبتي في أنْ أراه، ما الذي ينبغي أنْ أبحث عنه أوَّلًا؟ لا تبحث عن دلائل منطقيَّة، فعلى الرَّغم مِن أنَّ الله ترك لنا دلائل عقليَّة ومنطقيَّة تُشير إليه، إلَّا أنَّ أفضل مكان لكي نجد الله هو الصَّليب. أكثر مكان يُعْلِن عن وجود الله هو الصَّليب، ولكن في سرٍّ.

في الصَّليب إعلانٌ عن عمق طبيعة الله "المحبة":

«لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٦).

تذكَّر معي قصَّة زَكَّا: **«وَطَلَبَ أَنْ يَرَى يَسُوعَ مَنْ هُوَ»** (لو ١٩: ٣)! لم يمنعه أيُّ عائق، فصعد على جميزة لكي يرى طيف يسوع عابرًا، ولكن يسوع استجاب إلى هذا الاشتياق الحار والحُلم الذي تمنَّاه زَكَّا. وبسبب شهوة قلبه، وبالرَّغم مِن كلِّ الجمع الذي كان يزحم يسوع، فقد اختار يسوع أنْ يمكث في بيت زَكَّا، ودعاه قائلًا: **«يَا زَكَّا، أَسْرِعْ وَانْزِلْ، لأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ»** (لو ١٩: ٥).

يقول توماس ميرتون Thomas Merton:

"إنَّ كلَّ المطلوب منك لكي تصبح قدِّيسًا هو أنْ تكون هذه هي رغبة قلبك، فالله خلقك للقداسة، وإذا أنتَ خضعتَ له فإنَّه يجعلك قدِّيسا. فقط اِطلبه بكلِّ قلبك".

(٣) هل الله يريدنا أن نجده؟

بالطَّبع نعم.

الله يريدنا أنْ نجده. إنَّه ينتظرنا باستمرار لنبحث عنه ونجده لكي يُنْعِم لنا بإنعامات معرفته. الشيء الوحيد الذي يمنعه هو عدم رغبتنا في البحث عنه. حين يكون قلبنا مستعدًّا، فإن الله سيُسرع إلينا لأجل أنْ يملأنا بالفرح والمحبة والسلام والغفران والقوَّة: **«اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ»** (يع ٤: ٨)، الأهم هو الاقتراب الى الله. ما إنْ نتَّخذ الخطوة الأولى لنقترب منه، حتى يتَّخذ الله باقي الخطوات ليقترب منَّا. هو فقط ينتظرنا لنأخذ الخطوة الأولى. إلى هذا الحدِّ يحترم الله حريَّة إرادة الإنسان.

الله في المسيح صنع كلَّ شيء نحتاجه ليجتذبنا نحوه ونقترب منه، حين تجسَّد صار طفلًا صغيرًا، ليكون مِن الأسْهل لنا أنْ نقترب منه. ما هو الأكثر فرحًا وجاذبية مِن الاقتراب مِن طفلٍ صغير؟ حين اختار يسوع أنْ يصير نجَّارًا بسيطًا في الناصرة، بدلًا مِن أنْ يكون أميرًا في قصرٍ كبير، ذلك ليكون أكثر سهولة لنا للاقتراب مِنه. حينما اختار أنْ يموت الموْت الشَّنيع، موْت الصَّليب، فإنَّه كان يجعل الأمر سهلًا أمامنا لنتبع المسيح المتألِّم. حين أعطانا الإفخارستيا، واختار أنْ يوحِّد نفسه بنا مِن خلال الشَّكل البسيط للخبز والخمر، فإنَّه أراد أنْ يجعل مِن هذا أكثر سهولة لنا لنقترب مِنه. هو صنع كلَّ شيء ليقترب إلينا، وما هو المطلوب منَّا؟ المطلوب هو أنْ نقترب نحن إليه: **«اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ»** (يع ٤: ٨).

«وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ» (إر ٢٩: ١٣).

هل أنا أبحث عن الرَّبِّ بكلِّ قلبي؟ إنْ فعلتُ هذا، فحتمًا سأجده. الله نزل مِن سمائه باحثًا عنَّا؛ بل وعلاوة على ذلك، فإنَّه نزل إلى الجحيم ليبحث عنَّا ويُخلِّصنا. ليست إلَّا خطوة واحدة لنقترب إلى الله، هذه الخطوة قصيرة، ولكن نحتاج أنْ نتَّخذها. وما إنْ نفعل ذلك، حتى تتلقَّفنا ذراعَا حبِّ المُخلِّص الفادي.

(٤) لماذ لا يُظهِر الله ذاته لِمَنْ لا يبحثون عنه؟

يقول بعض المُلحدين: لماذا لا يُظْهِر الله ذاته لكلِّ إنسان؟ ولماذا لا يجعل معرفته سهلة مُتاحة لكلِّ أحد؟

يُجيب عن هذا السؤال دينيش ديسوزا Dinesh D'Souza بطريقةٍ ممتازة قائلًا:

"يقول بعض المُلحدين: إنَّ الله إذا كان موجودًا، كان عليه أنْ يجعل حضوره واضحًا لكلِّ إنسان. يقترح كارل ساجان Carl Sagan أنَّه مِن أجل أنَّ يطرد الله كلَّ الشُّكوك بخصوصه، كان مِن الممكن أنْ يكتب الوصايا العشر علي القمر ليراها كلُّ إنسان. وعن هذا يُجيب باسكال Pascal ويُعطي تعليلًا معقولًا لِمَا يُسمِّيه: "اختفاء الله"، فيكتب قائلًا: "ربَّما أنَّ الله يريد أنْ يخفي نفسه عن هؤلاء الذين لا يرغبون أنْ يُقابلوه، بينما يُعْلِن ذاته لأولئك الذين يفتحون قلبهم له؛ (وإلَّا) فسيكون كما لو كان يفرض نفسه عليهم". ويُقَدِّم باسكال ملاحظة جديرة بالاعتبار، وهي أنَّ الله يريد أنْ يكون معروفًا، ليس لكلِّ إنسان، ولكن فقط للذين يبحثون عنه"[٢].

(2) *What's to say about Christianity*, Dinesh D'Souza. Regnery Pul. Inc. Washington, D.C. 2007.

****

(بقية المنشور صفحة ٣٨ – «وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ»)

[فماذا يكون التَّقدُّم الذي نتحدَّث عنه – كما قُلتُ سابقًا – سوى التأليه والنعمة المُعطاة من الحِكمة للبَشر، وإبطال الخطيَّة والفساد منهم بحسب مشابهتهم وانتسابهم **لجسد الكلمة**؟ لأنَّه هكذا بازدياد الجسد في القامة كان يَزداد فيه ظهور اللاهوت أيضًا، ويَظهر للكلِّ أنَّ **الجسد هو هيكل الله**][٦].

ثمَّ يَختم **القدِّيس أثناسيوس** شَرحَه لمعنى آية "نُموِّ الصَبي يسوع في القامة والحِكمة والنعمة"، والتَّقَوِّي بالروح، وكَونها تَختَصُّ ببشريَّة الكَلمة وتَجسُّده الطاهر، فيقول:

[وكما قلنا، إنَّه تَألَّم بالجسد، وجَاع بالجسد، وتَعِب بالجسد، وهكذا يكون معقولًا أيضًا أن يُقال إنَّه تَقدَّم بالجسد، لأنَّ أيَّ تَقدُّمٍ مثل الذي شرحناه لا يمكن أن يَحدث للكَلمة بدون الجسد ... لذلك – فكما سبق أن قُلنا – ليست الحِكمة كحِكمةٍ هي التي تَقدَّمت في ذاتها، ولكن الناسوت هو الذي كان يَتقدَّم في الحِكمة ... فالبَشير لم يَقل: "**الكلمة تَقدَّم**"، ولكن: "**يسوع**"، وهو الاسم الذي دُعِيَ به الربُّ عندما صار إنسانًا، حتى يكون التَّقدُّم هو للطبيعة البَشريَّة، كما شَرَحنا قبلًا][٧].

(٦) المرجع السابق: فصل ٥٣، ص ٢٧٦.
(٧) المرجع السابق: فصل ٥٣، ص ٢٧٦.

بحث تاريخي

أديرة الملاك ميخائيل الأثريَّة في مصر

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطية
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

يُعتبَر رئيس الملائكة ميخائيل من أهم رؤساء الملائكة في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وهو الوحيد الذي ذُكِر فى الإنجيل بلقب رئيس الملائكة. وهو من أهم أربعة رؤساء ملائكة تظهر صورهم بكثرة في الفنون القبطية، إمَّا وحده أو مع رئيس الملائكة غبريال، وفي بعض الأوقات مع رئيسَي الملائكة سوريال وروفائيل. ويظل رئيس الملائكة ميخائيل أهم رؤساء الملائكة، حيث يُعتبَر حامي الأديرة والكنائس والرهبان، لذا كُرِّست له كنيسة صغيرة في الدور العلوي الأخير في كلِّ حصن من حصون الأديرة الأثريَّة القبطية المختلفة. كما شُيِّدت باسمه كثيرٌ من الأديرة والكنائس في كثيرٍ من محافظات مصر. ومن هذه الأديرة القبطية الهامة، نُشير إلى ما يلي:

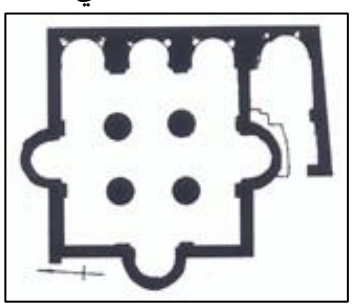

(الشكل رقم ١) التخطيط المعماري لكنيسة دير الملاك بالداخلة، نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٢٤.

١ - دير الملاك في واحة الداخلة:

شُيِّد هذا الدير بين قنا ونجع حمادي على ضفة النيل وعلى بُعْد كيلومترًا واحدًا غرب دير الأنبا بلامون Palaemon، وبالقرب من الجانب الشرقي لقرية al-Dabbah. وقد أشار إلى هذا الدير ووصفه كثيرٌ من الباحثين والدارسين[١]. وما زالت أطلال دير الملاك بالداخلة **(الشكل رقم ١)** موجودة على بُعْد أحد

(1) L.T. Lefort, "Les premiers monastères pachômiens: Exploration topographique", *Le Muséon* 52, (1939), pp. 386-387; J. Doresse, *Les livres secrets des gnostiques d'Égypte*, Paris, 1958, p. 148; Translated as *the Secret Books of the Egyptian Gnostics*, London, 1960, p. 131; Otto Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1965, 305; 2nd ed., Cairo, 1977, p. 417; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J., «Dayr al-Malak», *CoptEnc.*, vol.3, New York, 1991, 822b.

عشر كيلومترًا شمال شرق مدينة موط[٢]. ووُجِدَ بكنيسة هذا الدير أربع دعامات على شكل صليب. وفي الناحية الشرقية من الكنيسة، وُجِدَت ثلاث حنيات متساوية بهم مذابح. كما عُثِر على بقايا حنيتين أُخرتين في الناحيتين الغربية والجنوبية، وربما كانت هناك حنية ثالثة في الجانب الشمالي من الكنيسة على شكل Triconch. ويُعتَقَد أنَّ هذا المبنى يرجع إلى عصرٍ متأخِّر. وهو يتشابه مع كنائس أخميم المؤرَّخة من القرن السادس عشر الميلادي. وفي وقتٍ لاحق، تمَّت إضافة هيكل قبلي.

٢ - دير الملاك ميخائيل بالسلاموني بأخميم:

لم يتبقَّ شيء من أصل هذا الدير التاريخي سوى السور الخارجي بالقرب من قرية السلاموني على بُعْد كيلومترين شمال الهواويش وفي شمال دير الشهداء، وعلى بُعْد ستة كيلومترات تقريبًا من أخميم. وقد أشار المؤرِّخ المقريزي إلى دير الملاك ميخائيل في مدينة أخميم باسم Dayr Sabra، من اسم قبيلة استقرَّت في هذا المكان. كما ذَكَر نفس المؤرِّخ أنَّ الدير كان بالفعل مُكرَّسًا لرئيس الملائكة ميخائيل، وكان به راهبٌ واحدٌ[٣]. وأكَّد الباحث الألماني أوتو ميناردوس أنَّ الزائرين كانوا يتردَّدون على هذا الدير للاحتفال بأعياد رئيس الملائكة ميخائيل يومَي ١٢ هاتور و١٢ بؤونة من كلِّ عام[٤].

ويتشابه التخطيط المعماري للكنيسة الكبرى في هذا الدير مع بعض أديرة السيِّدة العذراء، حيث كانت كنيسته الرئيسية تتكوَّن من ثلاثة هياكل وحجرتين في الركنَين الجانبيين، بالإضافة إلى خمس حُجرات أو فتحات مُقسَّمة بواسطة خمسة أعمدة في الناحية الغربية. كما أُضيف هيكل وحجرات أخرى في الناحية الشمالية لاحقًا. واعتُبرت كنيسة الدير المُشيَّدة في الناحية الشرقية منه فريدة من نوعها بين كنائس المنطقة، حيث ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي – السابع عشر الميلادي. وتُذكِّرنا عمارتها بالطُّرُز المعمارية لكنائس مدينة

---

(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٢٤.

(٣) المقريزي، كتاب: *"المواعظ والاعتبار بذِكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية"*، بولاق، ١٨٣٥، ج ٢، ٥٠٤؛ شيرين صادق الجندى، "أديرة وكنائس أخميم الأثريَّة (١)"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٤٤)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (مايو ٢٠٢٣)، ص ٣٩-٤٢؛ (جزء ٢)، العدد (٦٤٦)، (سبتمبر ٢٠٢٣)، ص ٤٦-٥٠؛ (جزء ٣)، العدد (٦٤٧)، (أكتوبر ٢٠٢٣)، ص ٣٨-٤٢.

(4) Otto Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1965, pp. 295-296; 2nd ed., Cairo, 1977, pp. 406-407; J. Muyser & G. Viaud, "Les pèlerinages coptes en Égypte", *Bibliothèque d'études coptes* 15, Le Caire, 1979, pp. 57-58; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J., «Dayr al-Malak Mikha'il – Akhmim (History)», *CoptEnc.*, Vol.3, New York, 1991, 822b.

أخميم **(الشكل رقم ٢)**. وعُثِر بداخلها على بعض النقوش اليونانية في الجزء الشمالي منها، والذي أُضيفت فيه عدَّة حُجرات في عصورٍ متأخِّرة. وعلى مقربة من هذه الكنيسة، وُجِدَت نافورة ومضيفة وأماكن لدواب زائري الدير. وأَرجَع أوتو ميناردوس دير الملاك ميخائيل في أخميم إلى القرن الثالث عشر الميلادي[٥].

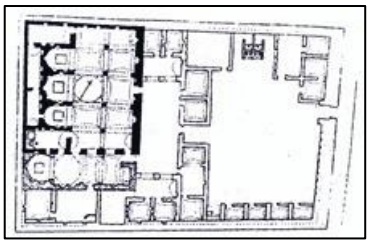

(الشكل رقم ٢) العقود والقباب والتخطيط المعماري لكنيسة دير الملاك بأخميم،
نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٦.

٣ - دير الملاك ميخائيل بالفيوم:

ما زالت أطلال هذا الدير موجودة في مركز Ibshaway على بُعْد ستة عشر كيلومترات غرب مدينة الفيوم بالقرب من قرية الحامولي[٦]، حيث تظهر بقايا أعمدة وبعض العناصر المعماريَّة في الأكوام الأثريَّة الموجودة بهذا الموقع الأثري. ووصلنا من هذا الدير كثيرٌ من المخطوطات النادرة، ومنها ما هو محفوظٌ حاليًّا في مكتبات فرنسا. ومنها ما قام بشرائه الثري الأمريكي Pierpont Morgan عام ١٩١١م، وفيما بعد ذلك التاريخ أيضًا. وتوجد أهم هذه المخطوطات الهامة الآن في المكتبة المعروفة باسمه في ولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.

وتؤكِّد كل هذه المخطوطات الأثريَّة والمؤرَّخة من أعوام ٨٢٣م إلى ٩١٤م، أنَّ الدير كان مأهولًا بالرهبان في القرنين التاسع والعاشر الميلاديَّيْن، على أنه لم تصلنا أيَّة مخطوطات

(5) Shela Mcnally, "Dayr al-Malak Mikha'il – Akhmim (Architecture)", *CoptEnc.*, Vol.3, New York, 1991, 823a-823b; P. Grossmann, *Mittelalterliche Langhauskuppel Kirchen und verwnadte Typen in Oberägypten*, Glüchstadt, 1982.

(6) Otto Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1965, 335-336; 2nd ed., Cairo, 1977, pp. 462-463;

شيرين صادق الجندى، "أهم الأديرة والكنائس الأثرية بالفيوم (٢)"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٢٠)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادى النطرون (يناير ٢٠٢١)، ص ١٢- ١٥.

أخرى من دير الملاك ميخائيل بالفيوم بعد سنة ١٠٠٧م. ومن أهم أسماء ناسخي هذه المخطوطات خمسة من رؤساء المتوحِّدين من هذا الدير، وهم: دميان (٨٢٢ – ٨٢٣م)، قزماس وكاييل أو ميخائيل، برويستوس (٨٥٤ – ٨٥٥م)، جون (٨٨٩م) وإلياس (بداية القرن العاشر الميلادي)[٧]. **(يتبع)**

(7) S. Gaselee, "Christian Egypt", in: *Archaeological Report*, F.L. Griffith (ed.), 1909-1910, p. 19; H. Hyvernat, "The P.J. Morgan Collection of Coptic Manuscripts", *Journal of Biblical Literature* 31, (1912), pp. 54-57; H. Hyvernat, "Coptic Literature: The Morgan Collection", in the *Catholic Encyclopedia*, Vol. 16, New York, 1914, pp. 27-29; H. Hyvernat, *a Check List of Coptic Manuscripts in the Pierpont Morgan Library*, New York, 1919; H.G. Evelyn – White, *The Monasteries of the Wadi'n Natrun*, Vol. 2. *The History of the Monasteries of Nitria and Scetis*, New York, 1932; A. Hebbelynck & A. van Lantschoot, *Codices Coptici*, Vol. 1. *Codici Vaticani*, Vatican City, 1937; E. Tisserant, "Notes sur la restauration à la Bibliothèque Vaticane des manuscrits coptes de la Pierpont Morgan Library", in: *Coptic Studies in Hornor of Walter Ewing Crum*, Boston, 1950, pp. 219-227; T. Petersen, "The Paragraph Mark in Coptic Illuminated Ornament", in: *Studies in Art and Literature for Belle da Costa Greene*, Princeton, 1954, pp. 310-324; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J., "Dayr al-Malak Mikha'il (Fayyum)", *CoptEnc.*, vol.3, New York, 1991, 824a-825a.

****

الطفل الإله

للقدِّيس كيرلس الأورشليمي

[اليوم «اللهُ جَاءَ مِنْ تِيْمَانَ» (حب ٣: ٣) إلى صهيون. اليوم «جاء إلى هيكله» (ملا ٣: ١) العريس السماوي. يا بنات أورشليم اخرجن للقائه، أضئن مصابيحكن بفرحٍ بالنور الحقيقي، زيِّنَّ ملابس نفوسِكنَّ تكريمًا للعريس المسيح ...

«كُلُّ نَسَمَةٍ فَلْتُسَبِّحِ الرَّبَّ» (مز ١٥٠: ٦)! «ولتسجد له الأرض كلها» (مز ٦٦: ٤)، وليرنِّم له كلُّ لسان، وليُسبِّح الجميع ويُمجِّدوا الطفل الإله. الطفل الصغير وهو «الْقَدِيم الأَيَّام» (دا ٧: ٩)، الطفل الرضيع وهو «خالق العالمين» (عب ١: ٢).

فإني أرى طفلًا ولكني أُميِّز فيه إلهي! أرى طفلًا رضيعًا وهو الذي يعول العالم كله! طفلًا باكيًا وهو المانح العالم الفرح والحياة! طفلًا مُقمَّطًا وهو الذي يفكُّني من رباطات الخطية! ...

هذا الطفل قد أبطَل الموت، وأخزى الشيطان، وحلَّ اللَّعنة، وأباد الحزن، ومنح الخليقة القيامة. هذا الطفل قد خلَّص آدم وأعاد خلقة حواء ...]. **(عظة عن مجيء الرب)**

****

سياحة المسيحي[١]

تأليف: يوحنا بنيان[٢]

تعريب: فؤاد حبيب

هذا الكتاب غنيٌّ عن التعريف، وهو من أشهر الكُتُب المسيحيَّة بعد الكتاب المقدَّس. كُتِبَ بأسلوبٍ قصصي شيِّق، يُصوِّر رحلة غُربة الإنسان المسيحي من لحظة تعرُّفه على المسيح، والحروب التي تُقابله، حتى لحظة النهاية المجيدة، وانتقاله من هذا العالم للمدينة السمائيَّة.

تبدأ القصة بشخصٍ يُدعى **"المسيحي"**، نراه يقرأ من كتابٍ بيده، وإذ به يبكي وينتحب بشدَّة، لأنه شعر بِحِملٍ ثقيل ينوء بحمله. وأَخَذَ يقول: "ماذا أفعل؟ أنا إنسانٌ هالك". وتعجَّبت زوجته وأولاده، ماذا جرى له؟ فيُجيبهم: "إنَّ مدينتنا ستحترق بنارٍ من السماء، وسوف نهلك جميعًا، إنْ لم نجد وسيلةً بها ننجو من الهلاك". اعتقدت أسرته أنَّه أُصيب بالجنون، وحاولوا تهدئته.

وبينما صاحبنا في حيرته، يُطالِع كتابه، لعلَّه يجد فيه ما يُريحه، إذ برجلٍ يُدعى **"المُبشِّر"**، فيُطلِعه على المكتوب: **"اهربوا من الغضب الآتي"**، فلما قرأه، قال: "إلى أين أهرب"؟ فأشار **المُبشِّر** إلى بابٍ بعيد ينبعث منه ضوءٌ ساطع، وطلب منه أنْ يضع النور نُصب عينيه ويتوجَّه نحوه.

أَخَذَ الرجل يجري، ولم يكِد يبتعد قليلًا حتى أبصرته زوجته وأولاده، ونادوا عليه ليرجع، ولكن الرجل سدَّ أُذنيه، وأطلق ساقيه للريح، ولم يلتفت خلفه، وأَخَذَ يُردِّد: **"إلى الحياة الأبديَّة"**.

وتتوالى الأحداث، فيُقابل المسيحي شخصَين مُجاوِرَين له في السَّكن، أحدهما يُدعى **"المُذعِن"**، والآخر يُدعى **"المُعاند"**، وكانا يُحاولان إرجاعه. وسريعًا ما يرتدُّ المُعاند ويرجع لموطنه. أمَّا **"المُذعِن"** فتابع سيره مع **المسيحي** الذي كان يُحدِّثه عن الملكوت وأمجاد الأبديَّة، والتيجان الذهبيَّة.

وفجأة وقع الاثنان في حمأة من الأوحال، والتي تُعرف بـ **"بالوعة اليأس"**، وغاصا فيها فترةً من الزمن، وتلطَّخا بالأوساخ، وجاهد **المُذعِن** للخروج منها، وقال غاضبًا: "هل هذه هي السعادة الموعود بها"؟! وأسرع راجعًا تاركًا جاره **المسيحي** يُجاهد للخروج. أمَّا المسيحي فقد أتاه شخصٌ يُدعى **"المُنجِد"**، وأمسكَ بيده، وجَذَبَه خارجًا، وأقامه على أرضٍ صلبة، وأمَره أنْ يمضي في طريقه.

---

(١) هذا الكتاب تعريب فؤاد حبيب، الطبعة السابعة: سنة ٢٠٠٥م، وهو من ١٨٧ صفحة من القَطْع الكبير.

(٢) واعظ وأديب إنجليزي مشهور، وُلد سنة ١٦٢٨م، وتوفِّي سنة ١٦٨٨م. دخل السجن بسبب استقلاليته وآرائه الجريئة، وفي حبسه ألَّف أشهر كتبه: **"سياحة المسيحي"**.

ويتقابل المسيحي أثناء سيره برجلٍ يُدعى **"الحكيم الدنيوي"**، وهو يقطن مدينة **"الحكمة الجسديَّة"**، وهي مُلاصِقة لمسقط رأس المسيحي. وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث. وحاول الحكيم إقناعه بأنْ يتخلَّص من حِمله الثقيل، فالطريق الذي يسلكه شاقٌّ وخطر. ونصحه بأنْ يذهب للقرية التي تُدعى **"الأخلاق"**، وهناك سيتعرَّف على رجلٍ يُدعى **"الناموسي"** سوف يُريحه من حِمله.

عندئذ حوَّل المسيحي طريقه ليذهب لبيت **الناموسي** طالبًا مساعدته. والعجيب أنَّه كُلَّما اقترب، كان الطريق يبعُد، بل إنَّه شعر أنَّ الحِملَ ازداد ثقلًا عليه أكثر! وابتدأ يتأسَّف لأجل اتِّباعه مشورة الحكيم الدنيوي. وفي تلك اللحظة أبصر المُبشِّر قادمًا نحوه، وعندما وقع نظر المسيحي عليه احمرَّ وجهه خجلًا، وحكى له كيف خدعه الناموسي، واعترف بخطئه! ثم شجَّعه المُبشِّر.

مضى المسيحي في طريقه، وإذ به يجد نفسه عند **بيت "المُفسِّر"**. وهناك يُريه المُفسِّر كثيرًا من الحُجرات، والتي كلُّ حُجرة منها تُشير إلى أشخاصٍ أشرار سوف يُقابلهم في الحياة أثناء رحلته. وأوصاه **المُفسِّر** أنْ يحفظ ما رآه في قلبه لتدفعه وتحفظه في طريقه إلى المدينة.

وبينما المسيحي يتأمل في إحسانات الله على حياته، أبصر رجُلَين يركضان نحوه، أحدهما يُعرَف بـ **"الطقسي"**، والاخر بـ **"المُرائي"**، اللذين حاولا أن يجتذباه إليهما، ولكنه انتبه لضلالهما وابتعد عنهما.

وكان على المسيحي أن يصعد على جبلٍ يُسمَّى **"جبل الصعوبات"**، فكان يركض تارة، ويسير أخرى، بل وأحيانًا يزحف على يديه ورجليه بسبب وعورة الطريق. وفجأة، إذ برجُلَين يركضان بأقصى سرعة عكس طريقه، اسم أحدهما **"الخوف"** والآخر **"الشكّ"**. فسألهما المسيحي: "ماذا بكما"؟ فأجاباه: "إننا قد أبصرنا أسدين أمامنا، وخشينا أنْ ينقضَّا علينا ويفترسانا، فلذلك نحن عائدان إلى ديارنا"! ودخل الرُّعب لقلب المسيحي، وقال في نفسه: "إنْ أنا عُدتُّ لموطني، فسوف أهلك هناك بلا شكٍّ، لذا عليَّ أنْ أتقدَّم مهما يكن؛ ففي النهاية، ستكون المدينة السماويَّة تنتظرني".

وما إنْ وَضَع المسيحي في نفسه أنْ يستكمل مسيرته، إذ به يقطع المسافة الباقية من الجبل في سرعةٍ وسهولة. ورفع عينيه وأبصر على مسافةٍ قصيرة قصرًا فخمًا، فأسرع الخُطَى نحو حارس القصر لعلَّه يجد هناك مأوى. وفجأة سمع صوت زئير الأسَدَيْن، فطمأنه الحارس، وأراه أنَّهما كانا مُقيَّدَين بسلاسل حديدية، ولا خوف منهما. فتقدَّم المسيحي ودخل القصر بشجاعة، ولم يُبالِ بزئيرهما.

عَلِمَ المسيحي من البوَّاب أنَّ هذا **القصر** قد بناه ربُّ المكان لأجل راحة وسلامة المُسافرين. وفي هذا القصر، التقى السائح المسيحي بالساكنين فيه مثل: الحكمة والفطنة والتقوى، وحكى حكايته لهم منذ أن خرج من مدينته، والأشخاص الذين قابلهم حتى وصل لقصرهم. وأَخَذَ كلٌّ منهم يُشجِّعه ويُزوِّده بنصائحه. وأخيرًا، قلَّدوه بأسلحةٍ روحيَّة من هامة رأسه لباطن قدميه، ودعوه للانطلاق.

وكما كان صعود الجبل شاقًّا على المسيحي، هكذا كان نزوله أيضًا محفوفًا بالصعاب. وما إنْ وصل لأسفل الجبل حتى أبصر شَبَحًا قبيحًا اسمه **"أبوليون"** آتيًا ليُقابله، فاستولى عليه الخوف، خصوصًا بعد أنْ هدَّده أنَّه سيقضي عليه إنْ لم يَعُدْ معه، وصارت حربٌ عنيفة بينهما. وهنا تذكَّر المسيحي الأسلحة التي أخذها من سُكَّان القصر، واستطاع أنْ يردَّ بها كلَّ السِّهام التي وجَّهها إليه أبوليون، وهكذا نجا.

وكان على المسيحي أنْ يجتاز واديًا اسمه **"ظِلّ الموت"**، حيث إنَّ الطريق إلى المدينة السماويَّة يمرُّ في وسطه. وقابله رجلان قد قفلا راجِعَين وهما يركضان بسرعة، فابتدرهما المسيحي مُتسائلًا: "لماذا أنتما عائدان"؟ فأجاباه: "لقد كنَّا سائرَين في الطريق التي أنت ذاهبٌ إليها الآن، ولكننا رأينا الخطر يُحدِق بنا من كلِّ جهة، فهناك رأينا الجنَّ والتنانين، وسمعنا أصوات عويلٍ ونحيب، والأفضل لك أنْ تعود مثلنا". أمَّا المسيحي، فقال لهما بكلِّ ثقة: "إنَّ هذه هي طريقي إلى الموطن السماوي".

ويُدبِّر الربُّ أنْ يُقابل المسيحي رجلًا يُدعى **"الأمين"**، سمعه يُردِّد الآية: «إِنْ سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لَا أَخَافُ شَرًّا، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي». فابتهج المسيحي، وركض نحوه وسارا في ودٍّ متبادَل، يتجاذبان أطراف الحديث، ويسترجعان الأمور التي حدثت معهما في سياحتهما، فهانت عليهما متاعب السَّفَر. وفجأة، إذ بالمُبشِّر يظهر ويسير معهما، فيفرحان به كثيرًا. ويقول لهما: "كم أنا سعيدٌ، ليس لأنكما لاقيتما تجارب، ولكن لأنكما انتصرتما عليها". ولكنَّه حذَّرهما أنَّ ضيقاتٍ كثيرة تنتظرهما، وأنَّ واحدًا منهما سيختم شهادته بسَفْك دمه، وشجَّعهما قائلًا: "استودعا نفساكما لله كما لخالقٍ أمين".

وأثناء سير المسيحي مع الأمين، أقبلا على مدينةٍ يُقال لها **"البُطْل"**، وبالمدينة سوق يُعرف بـ **"سوق الأباطيل"**. وهي سوق قديمة، وضعها بعلزبول خصيصًا لتكون في طريق السُّيَّاح للمدينة السماويَّة. وما إنْ دخلها صاحِبانا حتى هاجت المدينة بسببهما بسبب اختلافهما عن كلِّ أهلها، واحتقارهما لكلِّ بضاعتها. فقبضوا عليهما وأدخلوهما الحبس وعذَّبوهما وهزأوا بهما، وعقدوا لهما محاكمة، وكان القاضي يُدعى **"عدو الخير"**، والشهود هم: **الحسود** و**المُقلِّد** و**المُداهِن**. والمستشارون هم: **الأعمى، مُبغِض الصلاح، الكذَّاب، الحقود**. وحكموا على الأمين بالقتل. أمَّا المسيحي فقد عذَّبوه وجلدوه، وبَقِيَ في السجن فترة، ثم أطلقوا سراحه. وهكذا صدق كلام المُبشِّر لهما.

وبعد ذلك يُقابل المسيحي شخصًا اسمه **"المُداجي"** ومعه ثلاثة رجال يتبعونه، وهم: **المُتمسِّك بالعالم، ومحبّ المال، وشديد الطمع**. وحاول هؤلاء الرجال استمالة المسيحي واجتذابه لحياة العالم وضرورة اكتناز الأموال، ولكن المسيحي كان يردُّ عليهم ويُفحمهم، مما اضطرهم لأنْ يتركوه ويمضوا.

سار المسيحي في طريقه، ووجد أمامه نهرًا رقراقًا، فشرب منه، وكانت توجد من حوله أشجارٌ مُثمرة فيها كلُّ أنواع الثمار، فصار يأكل منها، وأحسَّت نفسه بالانتعاش والراحة.

وللأسف، أحسَّ المسيحي أثناء رحلته بثقةٍ باطلة بالنفس، فكانت النتيجة أنَّه ضلَّ الطريق. فوصل إلى مكانٍ اسمه: **"قلعة الشَّكِّ"**، يملكه جبَّار يُدعى **"اليأس"**، وعندما رأى الجبَّارُ المسيحيَّ، قبض عليه ووضعه في السجن. وكان للجبَّار زوجة تُدعى **"العزيمة الخائرة"**. وكان كلاهما يُثبِّطان معنويات المسيحي ويُحاولان أنْ يجعلاه يتخلَّص من حياته القاسية تلك، أو على الأقل أن يعود أدراجه.

وبرغم الألم الذي كان يعتصر المسيحي، إلَّا أنَّه قام في نصف الليل وبدأ يُصلِّي حتى طلوع الفجر. وفجأة يكتشف أنَّ لديه مُفتاحًا يستطيع أنْ يفتح به كلَّ الأبواب، اسمه **"مفتاح الوعد"**. وفعلًا ما إنْ أدار المفتاح حتى انفتح الباب بسهولة، وخرج مِنْ قلعة الشَّكِّ للحرِّية، ولم يستطع اليأس أنْ يلحقه.

وصل المسيحي لقرية عند سفح الجبل يُقال لها **"الخداع"**، وهناك يتقابل مع شخصٍ يُدعى **"الجهل"**، والذي كاد أنْ يُضلَّه عن طريق المدينة السماويَّة، ليتخذ طُرُقًا مُعوَّجة غير مستقيمة.

وفي طريق سياحته نحو المدينة السماويَّة، تتوالى مقابلات المسيحي: فمرَّة يتقابل مع شخصٍ يُدعى **"المُرتد"**، وآخر يُدعى **"قليل الإيمان"**، وآخر يُدعى **"المُلحِد"**. ويحاول كلٌّ بدوره أنْ يُثنيه ويُحذِّره، وأحيانًا يُخيفه ويُزعجه؛ ولكن، بمعونة الله، استطاع المسيحي أنْ ينجو مِنْ جميع هذه الفخاخ.

ويتقابل المسيحي مع **"الراجي"**، هذا الرفيق الذي سار معه لنهاية الرحلة. وكانا يُشجِّعان بعضهما البعض! ويحكيان عن عمل الله في حياتهما، وكيف استطاعا أنْ يتغلَّبا على التجارب التي صادفتهما في الطريق! وكانا يُقدِّمان النصائح لكلِّ مَنْ يلتقي بهما، وردُّوا كثيرين عن طريق ضلالهم.

أوشكت الرحلة أنْ تنقضي، فقد وصل المسيحي مع رفيقه الراجي إلى منطقة تُدعى **"بعولة"** (اسم عبري معناه: متزوِّجة أو ذات بعل)، وهناك سمعا **صوت "اليمامة"**، والشمس كانت هناك تُشرق نهارًا وليلًا. وغمرتهما الفرحة والبهجة بصورةٍ لم يألفاها من قبل. وكانا كلَّما اقتربا أكثر شاهدا المدينة بأكثر وضوح، فقد كانت مبانيها من لآلئ وأحجارٍ كريمة، وشوارعها من ذهب. ورأيا على جانبَي الطريق زهور النرجس وحقول الكروم والرياحين الفيحاء. وصادفا **"البستاني"** هناك وسألاه: "لِمَنْ هذه البساتين والكروم المُشتهاة"؟ فأجابهما: "إنَّها تابعة للملك ولتعزية السُّوَّاح".

وكان على السائحَين أنْ يجتازا الصعوبة الأخيرة قبل وصولهما للمدينة، فقد كان هناك نهرٌ يفصلهما عن باب المدينة. وللأسف، لم تكنْ هناك قنطرة للعبور، فاضطرا لعبوره سباحةً، وكاد المسيحي أنْ يغرق، وأخذ يصرخ، ولكنه تذكَّر الآية: «إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ، وَفِي الأَنْهَارِ فَلَا تَغْمُرُكَ» (إش ٤٣: ٢). وما إنْ وصلا، حتى أبصر السائحان جمهورًا كثيرًا من الجنود السمائيين قد خرجوا للقائهما. وكان هناك صوتٌ يقول: **"هذان هما الرجلان اللذان أحبَّا سيِّدنا الملك في حياتهما على الأرض، وقد تركا كلَّ شيء، لأجل اسمه القدوس"**.

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Happy New Year 2025! Dear reader, it is our pleasure to continue with Father Matta's search for new thoughts in the Gospel of St John, adding to the previous issues. Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 45

"Yes, the time is coming [and has now come] that whoever kills you will think that he offers God service" (John 16:2).

NOW WE PRAISE YOU, O Lord of heaven and earth, for the hour has come, which You have spoken about. Indeed it is present as the presence of the day of Your cross. For if it is the hour of darkness, You will not hide Your face from us, for now Your cross is portrayed before us. And just as the Father has glorified You and He was glorified in You at this hour, so also we, in our humility and abasement, find out that our portion in this glory has drawn near, and we are ready to meet it. If Your cross was Your glory, then our taking part in Your cross will hand down to us the same glory that You tasted.

How wonderful it is for the day that You appointed to shine upon us, that "the time is coming that whoever kills you will think that he offers God service" and that a door in paradise would be opened for him. If only it were opened to them without killing, we would have exulted also and rejoiced for them, and the world would depreciate before us and all who are in it. We are for death now and at all times, for our hour is present in our conscience, that which we wait for eagerly until we are freed from this world and come to You. For our death is the door of ascending to You, and sitting at Your feet, rather sitting with You on Your throne. So, how can we cringe from the threats of death, when death to us is life? Rather, it is the door to paradise, if paradise be considered the kingdom.

You said to not fear of their terror![1] For hope makes us pass by death as if it were the fulfillment of a promise. And if the hour comes, it is our hour and not of

[1] 1 Peter 3:14.

another, in it we close our eyes here to open them at You, O Lord, in heaven. It is synonymous to us, whether here or there, for we are for You in every condition, even if in the circumstances is the threat of death!

No one, throughout the whole earth, rejoices in death, the news of death and the threats of death except for us. In death is the fulfillment of our hope in the resurrection. For if we die, our death is a resurrection, and in the resurrection is the hope of our inheritance of heaven. So, who then would fear death or be terrorized, if in death abide entrance to eternal rest, that which we dream of every day?

So, greetings to the hour and to death if in death is our joyful move and in the hour is the end of our griefs on earth. Thus, if men threaten us with death, then the angels, rather Christ, will receive us above with gladness. Who then would still dread death or fear?

The open door in paradise is our door, rather Christ, who said that He is "the door,"[2] we enter, that we may rejoice with Christ who awaits us above. So, if our life on earth ends with the sword, our life above will begin with glory. For we bid farewell to our life here to meet our life up there. Whether we be here or above, we live in Christ, rather Christ lives in us.[3] Thus, death does not count for us at all, and its hour to us is a shadow that we cast out of our mind. For our mind is engaged in what is beyond the sword, beyond death, and beyond the hour.

December 27, 2005

---

[2] John 10:9.
[3] Galatians 2:20.

Chapter 46
"I have called you friends, for all things that I heard from My Father I have made known to you" (John 15:15).

WHEN ADAM WAS CAST OUT from before the face of God, he lived on earth distant from God, and passed on to his seed remoteness from God. Thus, humanity lived in utter ignorance of God as slaves living in their master's house, not knowing anything about His person or works. For sons alone know their father and everything that pertains to him. Whereas the houses servants have their lives merely limited to serving.

Nevertheless, Christ came, sent from the Father, bearing everything that pertains to the Father, knowing everything that is His and that He has, what He did and what He does. Thus, Christ came from the Father, knowing all that is the

Father's, and He began teaching and preaching about the imminence of the kingdom of God and about all that the Father has toward man. This knowledge of the Father and of all that He has, be it works or commandments, raised the state of humanity who was shackled with the bonds of slavery in which it was walking, far from God to the state of true sons who gaze at the mystery of the heavenly Father. Thus, man is carried from a state of slavery before God to the state of a beloved son of God.

The happy move of man, from a state of slavery to a state of beloved sons, was the work and responsibility of the Only-Beloved Son given to Him by God. Christ transferred His divine sonship to man, and the love of God toward Him to man. "And I have declared to them Your name, and will declare *it,* that the love with which You loved Me may be in them, and I in them."[1] This is the statement with which Christ concluded His mission on earth. Thus, by the Father's love of the Son, through His teaching and acquainting us with all that is at the Father's, the Son was able to transfer the love of the Father toward the Son to love toward the person who believed in Him and in the Father. Based on that, Christ raised man from a state of slavery before God to a state of beloved sons.

This was the Son's biggest mission, to admit man to God the Father in a state of love, just like the Father loved Christ as the Son of God: "and [I] have loved them as You have loved Me."[2]

For us to receive the status of beloved sons to the Father is Christ's ultimate success for when the Son of God was sent by the Father to man, who was walking in chains of slavery to sin, death and Satan, He freed him from it all with His reviving teachings and His death as a ransom which released man from underneath slavery to the world and the devil.

For Christ to guarantee the continuity of His work as a Savior, Redeemer and Lover, He gave Himself to man through the Spirit and entered into man in order to live in him to eternity. This, the apostle Paul realized and he manifested to all of humanity this wonderful and awesome mystery of Christ by saying, "it is no longer I who live, but Christ lives in me."[3] Thus, Christ carried to us His divine attribute and ability in saying, "the Father who dwells in Me does the works,"[4] and "for I have not spoken on My own authority; but the Father who sent Me gave Me a command, what I should say and what I should speak"[5]. And so,

[1] John 17:26.
[2] John 17:23.
[3] Galatians 2:20.
[4] John 14:10.
[5] John 12:49.

Christ Himself, who dwells in us, is the One who speaks through us and does His works.[6]

This is the marvelous mystery of divinity, which flowed from the Father to the Son, and from the Father and Son to us. And so, if we now live by this strong and resilient faith, this is a preparation to what we will receive in the fulfillment up above.

December 27, 2005

[6] See 2 Corinthians 13:3.

Chapter 47
"He who hates Me hates My Father also" (John 15:23).

WE ARE NOT SURPRISED as to why the world and those of the world hate Christ, the name of Christ and everyone who bears this name. For it is because Christ uncovered the reality about the world, which is that it is placed in the hand of the evil one. The children of this world are being driven against their will to submit to the demands of the world, which are all of the devil's making. Since Christ triumphed over the devil and all of his principalities on the cross,[1] and banished him forcibly from his control over man, the devil went on measuring up strikes for the children of Christ and for those who love Him, hiding behind people that he subjugated in his grasp. Thus, it became clear that the devil is still working, even though the ones working are free people, or rather think that they are free, albeit the enemy secretly oppresses them, working through them and in them.[2] Christ revealed the truth, that the enemy is still working, and all of the force of his bitterness he pours on the name of Christ and on those who judge in the name of Christ. For hatred toward Christ is in reality hatred to the Heavenly Father who sent Him, only masked behind false works and sayings that appear outwardly that they are praise to God when in reality they are all focused to evict Christ from the reality of His Sonship to God. Rather, they are targeting those who believe in Him in order to eliminate the truth of Christ and the Father from the believers. But it is impossible, for Christ has overcome the world, and He is in heaven, strengthening the hearts of those who believe in Him and supporting them against the hatred of the world that lives in the devil's lie that he is a god of light, while he is utter darkness, whose end is the lake of fire that awaits him and those he works in.[3]

[1] Colossians 2:15.
[2] "The prince of the power of the air, the spirit who now works in the sons of disobedience" (Ephesians 2:2).
[3] Revelation 20:10.

The danger of hatred toward Christ stands on the fact that it is itself hatred to God the Father; thus, it is hatred crossing from earth to heaven, and so, those who hate Christ would be shutting for themselves the gate of heaven. And through their hatred to the children of God who believe in the name of His Son, Jesus Christ, the enemy used them to spread hatred throughout the world, making hatred to be the trade of the present world; and so, love disappeared as well as man's compassion toward his fellow man. In such manner they have renewed Adam's first offspring, namely Cain and Abel. Therefore, just as the world was divided back then between murderer and victim, likewise also the world ended up in that same disaster. Because the Cain of the world is getting prepared for the murder of Abel of the last days, and there is no one to reconcile. For here, the hater despises Abel and the God of Abel; thus, the reconciler became despised, rather, murdered.

The grace period is limited for man and his hater, till there will be no more time, neither a chance for repentance or return to God. When justice is executed and the justice balance is set up, and the Judge will stand to uncover the thoughts of the hearts and the works of darkness, then the oppressor will be revealed and the murderer will enter into his certain destiny.

On that day will rejoice and be glad those who spent their days in mourning and weeping from the harshness of man on his fellow brother, and from the injustice of the enemy who will be cast out as a heap that will be trampled on. "And God will wipe away every tear from their eyes,"[4] and crown them with the crown of victory and salvation, which His Father crowned Him with after He fulfilled His mission on the earth of hatred and envies. Then, the oppressed will realize that he has a judge who is vigilant for his right, giving him the recompense for his oppression, eternal life where righteousness, joy and happiness abide.

December 27, 2005

---

[4] Revelation 21:4.

****

Father Matta El-Meskeen

[Man is reconciled to himself, for God was reconciled in the body of our humanity that belongs to Christ, which He took from us. Hence, we say confidently and succinctly that we are reconciled with God in Christ. This highly personal reconciliation is a unique mediation undertaken by this sole Mediator, Christ, between God and humanity, giving rise to a new force that penetrated not only the earth but also heaven **].**

Excerpt from *"Our Need for Christ,"* 2007, p 5.

Baptism is Enlightenment, Adoption and Perfection

When we were reborn, we straightway received the perfection for which we strive. For we were enlightened, that is, we came to the knowledge of God. Certainly, he who possesses knowledge of the Perfect Being is not imperfect [...].When the Lord was baptized, a voice loudly sounded from heaven, as a witness to Him who was beloved: "Thou art My beloved Son; this day have I begotten Thee." [...]. This is what happens with us, whose model the Lord made Himself. When we are baptized, we are enlightened; being enlightened, we become adopted sons, becoming adopted sons, we are made perfect; and becoming perfect, we are made immortal. "I have said", it is written, "you are gods and all of you the sons of the most High." This ceremony is often called "free gift", "enlightenment", "perfection", and "cleansing"—"cleansing", because through it we are completely purified of our sins; "free gift", because by it the punishments due to our sins are remitted; "enlightenment", since by it we behold the wonderful holy light of salvation, that is, it enables us to see the divine clearly.

Christ the Educator, I, 6, 25-26; FC 23,1954, pp. 24-26.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Κλήμεντος τῆς Ἀλεξανδρείας

Ἀναγεννηθέντες γοῦν εὐθέως τὸ τέλειον ἀπειλήφαμεν, οὗ ἕνεκεν ἐσπεύδομεν. Ἐφωτίσθημεν γάρ· τὸ δὲ ἔστιν ἐπιγνῶναι τὸν θεόν. Οὔκουν ἀτελὴς ὁ ἐγνωκὼς τὸ τέλειον [...]. Αὐτίκα γοῦν βαπτιζομένῳ τῷ κυρίῳ ἀπ᾽ οὐρανῶν ἐπήχησε φωνὴ μάρτυς ἠγαπημένου "υἱός μου εἶ σὺ ἀγαπητός, ἐγὼ σήμερον γεγέννηκά σε." [...]. Τὸ δὲ αὐτὸ συμβαίνει τοῦτο καὶ περὶ ἡμᾶς, ὧν γέγονεν ὑπογραφὴ ὁ κύριος· βαπτιζόμενοι φωτιζόμεθα, φωτιζόμενοι υἱοποιούμεθα, υἱοποιούμενοι τελειούμεθα, τελειούμενοι ἀπαθανατιζόμεθα· "ἐγώ", φησίν, "εἶπα, θεοί ἐστε καὶ υἱοὶ ὑψίστου πάντες." Καλεῖται δὲ πολλαχῶς τὸ ἔργον τοῦτο, χάρισμα καὶ φώτισμα καὶ τέλειον καὶ λουτρόν· λουτρὸν μὲν δι᾽ οὗ τὰς ἁμαρτίας ἀπορρυπτόμεθα, χάρισμα δὲ ᾧ τὰ ἐπὶ τοῖς ἁμαρτήμασιν ἐπιτίμια ἀνεῖται, φώτισμα δὲ δι᾽ οὗ τὸ ἅγιον ἐκεῖνο φῶς τὸ σωτήριον ἐποπτεύεται, τουτέστιν δι᾽ οὗ τὸ θεῖον ὀξυωποῦμεν.

SC 70, p. 156-159.

St. Mark *Monthly Review*

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.

ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):

U.S.$ 110.00

Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:

"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.

No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.

© 2025 by the Monastery of St. Macarius the Great.

Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382

VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG